مُحَمَّد ﷺ

في شِعر النَّصَارى العرب

إعــداد

محمّد عبد الشّافي القُوصِي

بطاقة



مكتبة جزيرة الورد
القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل
ش ٢٦ يوليو ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٠٢٧٨٧٧٥٧٤
Tokoboko_5@yahoo.com

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب: مُحَمَّد ﷺ في شِعر النَّصَارى العرب

إعداد: محمّد عبد الشّافي القُوصِي

رقم الايداع:

الطبعة الأولى ٢٠١٣



مكتبة جزيرة الورد
القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل
ش ٢٦ يوليو ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٠٢٧٨٧٧٥٧٤
Tokoboko_5@yahoo.com

قال رسول الله ﷺ :

﴿إِنَّ من البيانِ لَسِحراً..

وإِنَّ من الشِّعر لَحِكْمَةً﴾

صدق رسول الله ﷺ

* * *

إهــداء

إلى الذين مدحهم الحقُّ - سبحانه - بقوله:

{وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ}

[المائدة: ٨٣]

*   *   *

مقدمة

لـمْ يتوقف سيل الكتابة لحظةً واحدة عن (سـيّد المرسلين ﷺ) منذ أن طرقَ العالَمَ هذا{النَّبَأُ العَظِيمِ} الذي تزلزلتْ لـه السماواتُ والأرض، والبحر واليابسة، وزلزلَ كل الأُمَم!

فقد اجتهد العلماء والأدباء والمفسرون والمؤرخون والفلاسفة والمستشرقون في شرح أقواله وتفسيرها كلمة كلمة، وحرفاً حرفاً! أوْ على حد قول المؤرخ اللبناني فيليب حتى: " لـمْ توجد شخصية خضعتْ سائر أقواله وأفعاله للدراسة والنقد والتحليل الذي لا مثيل له في التاريخ كمُحمَّد ". فوجدوها يصدِّق بعضها بعضاً. كما سَجَّل معاصروه أقواله وأفعاله وطبّقوها بدقة بالغة، ونقلوا أخلاقه وأوصافه وشمائله، ووصفوا طعامه وشرابه ولباسه وقيامه وقعوده ونومه، حتى ملامح وجهه عند السرور وعند الغضب، منذ ولادته حتى وفاته.. لدرجة أنهم تحدّثوا عن الحُمْرة التي كانت في بياض عينيه! وقالوا أيضاً: مات رسولُ الله وفي رأسه ثلاث عشرة شعرة بيضاء! وسَجَّلوا جميع حركاته وسكناته، كقولهم: أشار بإصبعيْه الوسطى والسبَّابة.. أوْ كان مُتَّكِئاً فجلس.. أوْ ضَحِك حتى بدتْ نواجذه.. أوْ تهلَّلَ وجهه من السرور.. وما إلى ذلك من أدق أوصاف الهادي البشير!

* * *

ولا عجب في ذلك على الإطلاق؛ فمُحمَّد أشرف من خطَّ باسمهِ القلم.. وأطهر من شدا بذِكْرِهِ اللسان.. وأزكى من افتُتِحَ الكلام بالصلاةِ عليه واختُتِم.. وأعزّ من خلق الله وبرأ؛ وأخذ العهد على الأنبياء بتصديقه والبشارة به ونصرته.

فتوسَّل به أبوه آدم بعدما قرأ اسمه على باب الجِنان (كما جاء في الإصحاح ٣٩، برنابا) وكان على السفينة في ظهر أبيه نوح، وتحقَّقتْ به دعوة إبراهيم الخليل، وتمنَّى موسى الكليم أن يكون واحداً من أتباعه!

وتتالت عنه بشارات الأنبياء.. فجاء في الأسفار وصفه ونعته، ومولده، ومهجره، وقِبلته، ولُغته، وتمكين الله لدعوته ورسالته. فخاطبهُ ربُّه في مزامير

داود، بقوله: (أنتَ أبرعُ جمالاً من بني البشر. انسكبت النعمةُ على شفتيْك. لذلك باركَكَ الله إلى الأبد.. لأنّ بهاءَكَ وحمدكَ البهاء الغالب.. وإنَّ ناموسكَ وشرائعكَ مقرونة بهيبة يمينك. وسهامكَ مسنونة. والأُمم يخرّون تحتك). (المزمور ٤٥: ٣ - ٥).

وناداهُ رَبُّه في (سِفْر إرميا، الإصحاح الأول) قائلاً: (مِنْ قبل أن أُصوِّركَ في الرَّحِم عرَّفتك. ومن قبل أن تخرج من البطن قدَّستك. وجعلتكَ نبياً للأُمم. لأنكَ بكل ما آمركَ تصدع. وإلى كل من أُرسلكَ تتوجّه. يقول الربّ: وأفرغتُ كلامي في فمكَ إفراغاً. فتأمل وانظر...).

وجاءت البشارة به واضحة جلية في سِفْر إشعيا، في قوله: (اسمعي يا سموات. وقرّي يا أرض. ولماذا تقلقي؟ سيُبعثُ عليكِ نبيّ به تُرحمي). (الإصحاح الأول).

ثم أخبر عن عالمية رسالته، فقال: (إنِّي أقمتكَ شاهداً للشعوب. ومُدبِّراً وسلطاناً للأُمم. لتدعو الأُمم الذين لم تعرفهم. وتأتيكَ الأُمم الذين لم يعرفوك هرولة وسِراعاً...) (إشعيا، الإصحاح الثامن والعشرون).

وقال في حقه السيّد الحصور يحيى بن زكريا: (هناك نبيٌّ قادم بعدي، هو أقوى مِنِّي، لدرجة أنني لا أستحق حلّ سيور حذائه..). (متى، الإصحاح الثالث).

وأفاض أخوه المسيح في وصفِه، فقال: (إنَّ البارقليط الذي يرسله أبي يُعلِّمكم كل شيء. ولنْ يجيئكم ما لمْ أذهب. فإذا جاء وبَّخَ العالَم على الخطيئة. ويسوسكم بالحق. وإنَّ أموراً كثيرة أُريد أنْ أقولها لكم، ولكن لا تستطيعون أنْ تحتملوا الآن. وأمَّا متى جاء ذاك روح الحق فهو سيرشدكم إلى جميع الحق. لأنهُ لا يتكلَّم من نفسه. بلْ كل ما يسمع يتكلَّم به، ويخبركم بأُمورٍ آتية..). (يوحنا، الإصحاح ١٥ - ١٦).

ومدحه ربُّه في القرآن الكريم، قائلاً:{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ الله لِنتَ لَهُمْ} [آل عمران: ١٥٩].

وزكَّاه بقوله:{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: ٤].

ووصفه قائلاً:{بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [التوبة: ١٢٨].

وأقسم بحياته، فقال:{لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ} [الحجر: ٧٢].

وأخبر عن دورهِ المنوط به فقال:{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً} [الأحزاب: ٤٥ - ٤٦].

وأمر بالصلاةِ والسلام عليه، فقال:{إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً} [الأحزاب: ٥٦].

* * *

إذنْ؛ فِيمَ العجب إذا رأينا (المكتبة المُحمَّدية) اكتظت بآلاف المجلدات، وملايين المؤلفات عن سيرة (الهادي البشير ﷺ) ومناقبه؟!

فهو قدوة العابدين، وسيّد المجاهدين.. وإمام المرسلين.

وهو فتى الفتيان.. وفارس الفرسان.. وبطل الأبطال.

وهو الصادق الأمين.. والبشير النذير.. وحُجَّة الله على العالمين.

إنه سيّد ولد آدم.. وصاحب لواء الحمد.. وصاحب الشَّفاعة الكبرى.

وهو أجود الناس وأزهدهم.. وأوفى الناس وأصدقهم.

وهو أشرف الخلق وأجملهم.. وأعظم الأنبياء وخاتمهم.

* * *

فِيمَ العجب إذا تدلَّه الكُتَّاب والشُّعراء بسيرته ﷺ، وتغنَّوا بشمائله؟

فالذين عاصروه فعلوا أجلَّ من ذلك وأعظم؛ فقد افتدوه بأموالهم وأنفسهم.. وخرُّوا يُقبِّلون أقدامه وما تحت أقدامه! وحملوا لواء دعوته؛ ففتحوا بها البلدان والأقطار، وتخطَّوا بها اليابس والماء! بلْ استُشهدوا في سبيل دعوته ورسالته!

* * *

فلا عجب أن تترى قصائد المادحين عبر العصور، بمختلف اللغات؛ تترنَّم بسيّد الكونيْن، والثقليْن، والفريقيْن من عُربٍ ومن عَجَمِ!

ومازال الشُّعراء يُرصِّعون قصائدهم، ويُزيِّنون دواوينهم بمدح (إمام الأنبياء) موقِنين - في ذات الوقت - أنهم ما بلغوا مرادهم، وما حققوا غايتهم التي تهفو إليها أفئدتهم!

ولعلَّ ما جادتْ به القرائح من قلائد المطولات والمعلَّقات؛ كان سبباً وراء خلود هؤلاء المبدعين وشهرتهم الواسعة في سائر الأزمنة والأمكنة... فالمادحون هم الذين نالهم الشرف الرفيع بمدحهم لأشرف الخلق، وداعي الحق (مُحمَّد ﷺ)!

أوْ على حد قول الشاعر/ سيّد سليم:

فمدحهُ شرفٌ عالٍ لمادحهِ ::: وغيره كَمْ سَمَوا بالمدحِ والنَّغَمِ!

أوْ كما قال القائل:

أنا ما مدحتُ مُحمّداً بقصائدي ::: لكنْ مدحتُ قصائدي بمحمَّدِ!

وهكذا يظل (رسول الإنسانية الأعظم) فوق مدح المادحين، وثناء المتدلّهين!

كما يقول الشاعر السوري/ جاك صبري شماس:

مهما مدحتكَ يا (رسولُ) فإنّكم ::: فوق المديحِ وفوق كلّ بيانِ!

محمد عبد الشافي القُوصِي

E:aldohapress5@hotmail.com

ص. ب ١٦٢ المهندسين/ جيزة

* * *

بستان المُحمّديات

أطلق الكُتَّاب والأدباء على روائع المؤلفات التي تناولت شخصية (خاتم الأنبياء ﷺ) سواء كانت نثراً أوْ شِعراً مصطلح (المُحمَّديـَّات) ولجمالها وجلالها أسموها (المكتبة المُحمَّدية)!

ويُعدّ الدكتور/ محمد حسين هيكل؛ أول من فتح شهيَّة الكُتَّاب والمفكرين في العصر الحديث، ليدلوا بدلوهم في هذا الميدان، وذلك عندما أصدر كتابه (حياة مُحمّد)

ومن أهم الكتب التي احتوتها (المكتبة المُحمَّدية) على سبيل المثال - لا الحصر: " عبقرية مُحمَّد " للعقاد، و " على هامش السيرة " لطه حسين، و " إنسانية الرسول الكريم " لمصطفى صادق الرافعي، و " فجر الإسلام " لأحمد أمين، و " الوحي المُحمّدي " للشيخ رشيد رضا، و " بطل الأبطال " لعبد الرحمن عزام، و " مُحمّد الرسول الأعظم " للشيخ محمود شلتوت، و " الرسول في القرآن " لمحمود بن الشريف، و " أسماء النبيّ " لعبد الحميد بن باديس، و " موكب النور " لجمال الدين الرمادي، و " الخُلُق العظيم " للشيخ محمد سليمان سليمان، و " إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وآله الطاهرين " لمحمد بن علي الصبان، و " محمد الثائر الأعظم " لفتحي رضوان، و " الرسول ﷺ " لسعيد حوّى، و " الوحي إلى الرسول مُحمّد " للشيخ عبد اللطيف السبكي، و " لمحات من حياة الرسول " للدكتور عبد الحليم محمود، و " مُحمّد صلى الله عليه وسلم " لتوفيق الحكيم، و " مُحمّد رسول الحرية " لعبد الرحمن الشرقاوي، و " النبي مُحمّد " لعبد الكريم الخطيب، و " مُحمّد القدوة العظمى " للدكتور عبد الحليم حفني، و " مُحمّد رسول الله " لمحمد صبيح، و " مُحمّد عند علماء الغرب " لخليل ياسين، و " معجزات الرسول " للشيخ محمد متولي الشعراوي، و " سُنّة الرسول " لحافظ التيجاني، و " إنسانيات مُحمّد " لخالد محمد خالد، و " مع المصطفى " لبنت الشاطئ، و " فِقْه السيرة " للشيخ محمد الغزالي، و " مُحمّد محرر العبيد " لمحمد شوكت التوني، و

" العبقرية العسكرية للرسول " لمحمد فرج، و " مُحمّد المثل الكامل " لأحمد جاد المولى، و " من دروس الهجرة " للدكتور سعد ظلام، و " قبس من سيرة الرسول " للدكتور عبد الله شحاته، و " مُحمّد صلى الله عليه وسلم " للدكتور مصطفى محمود، و " الرسول في المدينة " لعلي حسن الخربوطلي، و " يا رسول الله " للدكتور إبراهيم أبو الخشب، و " الحب عند الرسول الكريم " لعبد المنعم الجداوي، و " نبيّ الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن " للمستشار عزت الطهطاوي، و " سيرة نبيّ الهدى " لعبد السلام هاشم، و " مشاهدات من حياة الرسول " لمأمون غريب، و " من أحوال المصطفى " لمحمد جلال كشك، و " الرحيق المختوم " لصفيّ الدين المباركفوري، و " نبيّ البر " لإبراهيم الإبياري، و " الرحمة المهداة " لمحمد بن حسين بن علي، و " فقه الصلوات والمدائح النبوية " للشيخ محمد زكي إبراهيم، و " شوق المُحبّين في حضرة سيد المرسلين " لنبيلة الجواهرجي، و " مع المصطفى في هديه الحكيم " للدكتور محمد ابن أحمد الشريف، و " الشمائل المُحمّدية " للشيخ الباجوري، و " خاتم المرسلين حياة ورسالة " للدكتور يوسف عبد الهادي الشال، و " سيرة الرسول " للدكتور محمد الطيّب النجار، و " صاحب الرسالة العصماء " للشيخ عبد الحميد كشك، و " نظرات في السُّنّة " للدكتور محمد عبد المنعم القيعي، و " ملحمة السيرة النبوية " للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى، و " لسان الصدق " للشيخ علي البحراني، و " هذا الحبيب يا مُحِب " لأبي بكر الجزائري، و " خاتم الأنبياء والمرسلين " للدكتور زغلول النجار، و " دفاع عن مُحمّد ضد منتقديه " للدكتور عبد الرحمن بدوي، و " سيرة الرسول في تصورات الغربيين " للدكتور محمود حمدي زقزوق، و " نبيّ أرض الجنوب " للعميد جمال الدين شرقاوي، و " من الأدب النبويّ " للشيخ إبراهيم الجبالي، و " مُحمّد أعظم البشر " للدكتور حمزة النشرتي، و " أمير الأنبياء " لأحمد بهجت، و " شخصية الرسول في ضوء المقاييس الإنسانية " للدكتور عبد الحليم عويس، و " محبة الكائنات للنبيّ " للدكتور عاطف المليجي، و " النبيّ الخاتم " للدكتور عبد الغفار هلال، و " البيان المُحمّدي " للدكتور مصطفى

الشكعة، و " نور الله " لنجيب الكيلاني، و " الرسول مُعلّماً ومُربياً " لعبد التواب يوسف، و " مُحمّد في الأدب المعاصر " لفاروق خورشيد، و " شعراء حول الرسول " للدكتور عبده بدوي "، و " مُحمّد في الأدب العربي الحديث " لحلمي القاعود، و " رسول الإنسانية في الأدب العربي الحديث " للدكتور محمد حامد الحضيري، و " مدائح الفحول لآل والرسول " لفارس مرسي محفوظ، و " المختار من مدائح المختار " للدكتور محمد داود، و " تاج المدائح النبوية " للدكتور صابر عبد الدايم، و " بستان المدائح النبوية "، و " مُحمَّد مُشْتَهَى الأُمم muhammad Desire of nations **" لمحمد عبد الشافي القُوصِي، إلى غير ذلك من روائع (المُحمّديات) التي ألَّفها صفوة العلماء والأدباء والكُتّاب المسلمين في القرن العشرين.**

لكن، تبقى كلمة لابد من تسجيلها في هذا المقام؛ إنه لا يحق لأيّ كاتب أوْ أديب أوْ شاعر أن يغامر بالكتابة عن (النبيّ الخاتم) من باب شهوة الكتابة، أوْ التسلية، أوْ حب الاستعراض! فالأمر جد خطير! أوْ كما يقول الأديب/ صلاح رشيد: إنه ما لمْ يمسك الكاتب بناصية البيان، ويثق من أدواته النقدية وعدته العلمية؛ فلا يلِج هذا الميدان.. فلا مجال هنا للمقولة الساذجة التي يرددها قطيع المهزومين: (هذا جهد المُقِلّ)!!

***

(نبيّ الإسلام صلى الله عليه وسلم)
في مرآة الفلاسفة والمستشرقين

لـمْ يتوقف البحث في سيرة نبـيّ الإسلام صلى الله عليـه وسلم عند حدود الكُتَّاب والمؤرخين المسلمين فحسب، بلْ تخطَّى إلى مختلف الديانات والمذاهب والجنسيات الأخرى!

وتطبيقاً للحكمة العليا الخالدة:{فاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}! فإننا سوف ننقل عدداً من شهادات مشاهير الغربيين؛ لإثبات عظمة نبـيّ الإسلام وعالمية رسالته، ومنزلته العالية الرفيعة!

هؤلاء " العباقرة " الذين سوف نستشهد بآرائهم، وننقل كلامهم الذي سجَّلوه في مؤلفاتهم ومذكراتهم، ليسوا مسلمين! بلْ إنَّ بعضهم من الغلاة والمتطرفين المعروفين بكراهيتهم للحضارة الإسلامية، والمشهورين بعداوتهم للإسلام وأهله! أمثال: عالِم اللغات الشرقية، والمستشرق الإنجليزي البروفيسور هامفري بريدو H.prideaux (1648 - 1724) الذي اعترف - رغم أنفه - في كتابه (حياة مُحمَّد) باريس 1699 - بالصفات السامية لمُحمّد وعظمة أعماله، إذْ يؤكد أن مُحمّداً طوال فترة بعثته " امتاز بشجاعة وفطنة عقله، وبدرجة عالية من المجد، مما جعله أعظم القادة الذين عرفهم التاريخ، وقد أنشأ إمبراطورية في أربعة وعشرين عاماً امتدت لتشمل المناطق التي تحتلها الإمبراطورية الرومانية لمدة خمسمائة عام بلْ وأكثر منها، وقد رأينا تلك المملكة الواسعة استمرت لقرون عديدة وهي في أوج عظمتها، وقد رأينا كثيراً من الإمبراطوريات والممالك الإسلامية التي لا تُقارَن بغيرها في الامتداد والسيطرة لمدة طويلة.. ".

كذلك؛ المفكر الأيرلندي أدموند بيرك Edmund Burke (1729 - 1797) الذي أكد: " أن القانون المُحَمَّديَّ قانونٌ ضابطٌ للجميع من الملِك إلى أقل رعاياه، وهو قانونٌ نُسِجَ بأحكم نظام حقوقيٍّ، وأعظم قضاء علميٍّ، وأعلم تشريع عادل، لـمْ يسبق قط

للعالم إيجاد مثله ‘‘.

ويعـــد المستشـــرق الإنجليـــزي مـــارجليوث Margoliouth **(**1858 - 1940**) غيـر منصـف للإسـلام ونبيـه، ومـع ذلـك نـراه يقـول فـي كتابـه (مُحمّـد ونهضـة الإسـلام): ‘‘ إذا نحـن قارنّـا بـين الـوحي القرآنـي، وبـين مـا فـي أيـدينا مـن كتـب مقدسـة، سـندرك علـى الفـور أن الإسـلام وحـده هـو الـدين الحقيقـي ‘‘.**

ومعاصـــره المستشـــرق اليهـــودي المجـــري جولـــد زيهـــر ignaz joldziher **(**1850 - 1921**) يقـول فـي كتابـه (العقيـدة والشـريعة فـي الإسـلام): ‘‘ كـان مُحمَّـد يريـد إقامـة ديـن الله الواحـد كمـا جـاء بـه إبـراهيم، كمـا أنـه بوجـه عـام كـان مُصـدّقاً لمـا سـبق أن أوحـاه الله لمـن تقدّمـه مـن الرسـل والأنبيـاء.. فمُحمَّـد كـان بلا شك أول مصلِح حقيقي من الوجهة التاريخية ‘‘.**

وهـــذا المستشـــرق اليهـــودي المعاصـــر برنـــارد لـــويس L.pernard **نصـــير الحركـــة الصـــهيونية، وشـــديد العـــداء والافتـــراء علـــى المســـلمين وديـــنهم وقضـاياهم القوميـة.. وشـديد الاسـتعداء لصـانع القـرار الأمريكـي ضـد الإسـلام وأمتـه.. إلاَّ أن ذلـك كلـه لـم يمنعـه مـن أن يعتـرف للإسـلام بـالتميز كـدين ودولـة، وبالسـماحة فـي الانتشـار السـلمي، وبالعـدل الـذي تميـز بـه الحكـم الإسـلامي مـع الشـــعوب غيـــر المســـلمة، فيشـــهد** L.pernard**أن: مؤسِّـــس المســـيحية نـــادى أتباعـه: أن أعطـوا مـا لقيصـر لقيصـر، ومـا لله لله ‘‘، أمَّـا مؤسّـس الإسـلام فقـد جعـل مـن نفسـه ‘‘ قسـطنطين ‘‘ (**274 - 337**) ففـي حياتـه أصـبح المسـلمون جماعـة سياسـية ودينيـة كـان الرسـول سـيدها المطلـق، يحكـم أرضـاً وشـعباً، ويقضـــي بـــين النـــاس، ويجمـــع الضـــرائب، ويقـــود الجيـــوش، ويســـيِّر الدبلوماسية، ويخوض الحرب...**

وبينمـا كـان شـيخ القبيلـة يحتـل منصـب الرئاسـة علـى أسـاس الموافقـة الطوعيـة للقبيلـة، وهـي موافقـة يمكـن إلغاؤهـا، فـإنَّ مُحمّـداً جـاء إلـى الحكـم علـى أسـاس مـن الامتيـاز الـديني المطلـق، واسـتمد سـلطته لـيس مـن الطـرف

المحكوم، بلْ من الله ".

الملاحظ في شهادات الغربيين؛ أنهم كثيراً ما يُركِّزون على أزماتهم الاجتماعية والنفسية، ومشاكل الحضارة الغربية، لذلك لجئوا إلى سيرة (نَّبيِّ الإسلام) للبحث عن حلول لمعاناتهم وإنقاذ مجتمعاتهم من الضياع والانهيار. وبالفعل فقد وجدوا أن (الإسلام) وحده هو القادر على حل معضلات حضارتهم، واكتشفوا أن الخروج من مشاكلهم المستعصية يكمن في قوانين الإسلام وشريعته العالمية، وأيقنوا أن سيرة (مُحمَّد) وأقواله وأفعاله هي الملاذ الآمِن، وشاطئ النجاة، ومرفأ السلامة.

وقد شَهِدَ بهذه الحقيقة كبار الزعماء والقادة ورجال السياسة - على وجه الخصوص - فقد أفصح نابليون Napoleon Bonaparte (1769 1821 -) في مذكراته عن إعجابه بالتشريع الإسلامي، فكتب في الباب الرابع من رسائله، يقول (أرجو ألاَّ يكون قد فات الوقت الذي أستطيع فيه أن أُوحِّد جميع الرجال العاقلين والمثقفين في الدولة، وأن أُنشئ نظام حكم متناسق، مؤسس على مبادئ القرآن، التي هي وحدها الصادقة، والتي يمكنها أن تقود الناس إلى السعادة. بعيداً عن (المسيحية) التي تبشِّر فقط بالعبودية والتبعية..).

وانظر - مثلاً - إلى مقولة توماس كارليل Th.Carlyle (1795 - 1881) في كتابه " الأبطال " : " لوْ لم يكن مُحمّد صادقاً لما استطاع دينه أن يعطي هذه الحضارة كلها ".

وهذا المستشرق الألماني باول شمتز pawell Shimtes - الذي عاش في القاهرة ربع قرن أثناء فترة الاستعمار، استطاع من خلالها أن يصل إلى السر الكامن في ثبات المسلمين وقوتهم على ممارسة الدور الايجابي الفاعل على مسرح الحياة - وسجّل هذا في كتابه " الإسلام قوة الغد العالمية " فقال فيه: " لقد جاهدتْ البشرية كثيراً لتضع ما سمَّاه علماء القانون والسياسة؛ الحقوق الطبيعية للإنسان. لقد فعلها مُحمَّد بعفوية

وبساطة عندما وقف حاجًّا في مكة فيما يعرفه المسلمون بحجَّة الوداع، وقرر حق الإنسان في الحياة والتديّن والحرية والثراء الحلال، والمساواة وحُرمة الدم والعِرض والكرامة ".

أيضاً، نجد أديب وفيلسوف أيرلندا جورج برنارد شو B.Show **(**1856 - 1950**) أيقن بهذه الحقيقة، وسجّل رأيه بشجاعة في كتابه (مُحمّد أعظم الرسل) ذلك الكتاب الذي أحرقته السلطات البريطانية، حيث قال: " وأعتقد أن رجلاً كمُحَمَّد لوْ تسلَّم زمام الحكم في العالم بأجمعه اليوم لتمَّ النجاحُ في حُكْمِهِ، ولقاد العالم إلى الخير، وحَلَّ مشاكله على وجه يحقّق للعالم كله السلام، والسعادة المنشودة ".**

ومن فطنة - برنارد شو - أنه يفرِّق بين الإسلام كدين قويم، وبين سلوكيات أتباعه الخاطئة، فيقول: " إنني أؤمن بإسلام النبيّ محمد، وإسلام الخلفاء الراشدين.. وليس بإسلام مسلمي هذا العصر " !

ثم بشَّر بانتشار الإسلام وعلوِّه على غيره من الأديان فقال: " إنَّ أوروبا الآن بدأت تحس بحكمة مُحمَّد، وبدأت تعيش دينه، وإنَّ كثيرين من الأوروبيين الآخرين يُقدِّسُون تعاليمَ الإسلامِ.. وإنَّ بوادرَ العصرِ الإسلاميِّ الأوروبيِّ قريبةٌ لا محالة؛ فلن يمضي مائة عام حتى تكون أوروبا، ولاسيما إنجلترا قد أيقنت بملائمة الإسلام للحضارة الصحيحة ".

ذات المعنى؛ تؤكده المستشرقة الألمانية " أنا ماري شمل " Annemari Schimmel **(**1922 - 2003**) في كتابها (مُحمَّد رسول الله) فتقول " إنَّ الحضارة التي رسم معالمها نبيّ الهُدى والسلام لهي جديرة بانتشال العالم من وطأة الصراع السياسي والأيديولوجيات التي تستغل الإنسان أسوأ استغلال، وقيادته إلى بر الأمان على سُنة تحية " السلام " التي صارت شعاراً له ".**

وتـأتي قيمـة هـذه الشـهادات فـي أن أصـحابها عـالِمون تمـام العِلْـم بالـديانتيْن النصـرانية اليهوديـة، وربمـا ديانـات أخـرى كالبوذيـة والهندوسـية، فضـلاً عـن معـرفتهم الواسـعة بالمـذاهب والفلسـفات والقـوانين الوضـعية التـي تربـوا فـي ظلهـا، والتـي يحتكمـون إليهـا فـي أمـور معاشـهم.. لـذلك نجـدهم يقـارنون بينهـا وبـين الإسـلام مقارنـة العـارف بتحريـف تلـك الـديانات وتلاعـب البشـر بهـا، كقـول المستشـرق الألمـاني " تيـودور نولدكـه Noldake (1836 - 1930) الـذي أُطلِقَ اسمه علـى أحـد شـوارع همبـورج الشـهيرة، ونـال شـهادة الـدكتوراه علـى رسـالته " أصـل وتركيـب سـور القـرآن " - يقـول فـي كتابـه (تـاريخ القـرآن): " نـزل القـرآن علـى مُحمّـد نبـيّ المسـلمين، بـلْ نبـيّ العـالم، لأنـه جـاء بـدين كامـل إلـى العـالم، وبشـريعة كلهـا آداب وتعـاليم. وحـريٌّ بنـا أن نُنصِـف مُحمّـداً فـي الحـديث عنـه، لأننـا لـم نقـرأ عنـه إلاّ كـل صـفات الكمـال، فكـان جـديراً بالتكريم ".

وفـي تقـديره وحكمـه علـى " مُحمَّـد " صـلى الله عليـه وسـلم يجتهـد Noldake فـي أن يـتم ذلـك فـي موضـوعية هادئـة، فيقـول فـي كتابـه (حيـاة مُحمَّـد) الـذي يقـع فـي سبعة فصـول - وهـو كتـاب شـعبي ومختصـر؛ إلاَّ أنـه لا يسـتوفي سـيرة النبـيّ كلهـا - يقـول: " ولكـيْ يكـون المـرء منصِـفاً لمُحمَّـد فإنـه يتحـتم عليـه أن ينظـر إليـه فـي حياتـه لـيس فقـط بوصـفه نبيـاً وواعظـاً وأميـراً، بـلْ ينظـر إليـه أيضـاً فـي تعاملـه مـع أتباعـه وأصـدقائه وفـي حياتـه اليوميـة، فهنـاك ملامـح ثابتـة لا تحصـى تظهـره هنـا فـي ضـوء جميـل.. وأنـه كـان يتحلّـى بشـمائل علـى أقصـى درجـة مـن النُبْـل، وأنـه هـو نفسـه كـان مقتنِعـاً بمهمتـه لإنقـاذ إخوانـه فـي الإنسـانية مـن العـذاب الأبـدي عـن طريـق هـدايتهم إلـى العقيـدة الصحيحة، ولجعلهم مشاركين في السعادة السماوية ".

وهـو ذات المعنـى؛ الـذي أكـده المستشـرق والعـالم الألمـاني المعاصـر رودي بـارت Rudi paret - المولـود عـام 1901 والـذي اضـطلع بالدراسـات

الشـرقية فـي جامعـة هايـدلبرج، وصـنَّف عـدداً كبيـراً مـن المؤلفـات، منهـا: ترجمتـه لمعـاني القـرآن الكـريم التـي اسـتغرقت منـه عشـرات السـنين، ولـه كتـاب عـن النبـيّ مُحمّـد صـلى الله عليـه وسـلم، وكتـاب " الدراسـات العربيـة والإسـلامية فـي الجامعـات الألمانيـة " يقـول فيـه: " كـان مـن بـين ممثلـي حركـة التنـوير مـن رأوا فـي النبـيّ العربـيّ أدلـة الله، ومشـرِّعاً حكيمـاً ورسـولاً للفضـيلة، وناطقـاً بكلمـة الـدين الطبيعـي الفطـري، ومبشِّـراً بـه.. كـان العـرب يعيشـون منـذ قـرون طويلـة فـي بـوادي وواحـات شـبه الجزيـرة، يعيثـون فيهـا فسـاداً، حتـى أتـى مُحمَّد ودعـاهم إلـى الإيمـان بإلـهٍ واحـد، خـالق بـارئ، وجمعهـم في كيان واحد متجانس ".

ويقـول Rudi paret فـي كتابـه " تـاريخ الحضـارات العـام " : " جـاء مُحمّـد بـن عبـد الله النبـيّ العربـيّ وخاتمـة النبيـين، يبشِّـر العـرب والنـاس أجمعين، بـدين جديـد، ويـدعو إلـى القـول بـالله الواحـد الأحـد، كانـت الشـريعة فـي دعوتـه لا تختلـف عـن العقيـدة أو الإيمـان، وتتمتـع مثلهـا بسـلطة إلهيـة ملزمـة، لا تضـبط الأمـور الدينيـة فحسـب، بـلْ أيضـاً الأمـور الدنيويـة؛ فتفـرض علـى المسـلم الزكـاة، والجهـاد ضـد المشـركين، ونشـر الـدين الحنيـف، وعنـدما تـوفّى النبـيُّ العربـيّ عـام 632 كـان قـد انتهـى مـن دعوتـه، وانتهـى مـن وضـع نظـام اجتمـاعي يسـمو كثيـراً فـوق النظـام القِبلـي الـذي كـان عليـه العـرب قبـل الإسـلام، وصـهرهم فـي وحـدة قويـة، وتمـت للجزيـرة العربيـة وحـدة دينيـة متماسـكة، لـمْ تعرف مثلها من قبل.. ".

هذا؛ ويقـول الباحـث الأمريكـي أنـدرا وليـامز Andhra Williams فـي كتابـه: " أمريكي في البلاد العربيـة، فقال: " لقد دعا مُحمَّـد إلى أُخوة جديدة، أُخوة المسلم لأخيه المسلم، لا فرق بين أول وآخر، سواء كان أميراً أوْ عبداً إلاَّ بالعمل الصالح ".

وأكد هذا الجانب - أيضاً - المستشرق الأمريكي ستانلي لين بول Stanleylane poole - في كتابه " أقوال مُحمّد " الذي تُرجِم مؤخراً إلى العربية، إذْ يقول فيـه: "

كـان مُحمّـدٌ رؤوفـاً شـفيقاً، يعـود المـريض ويـزور الفقيـر، ويجيـب دعـوات العبيـد الأرقاء، وقد كـان يصلح ثيابـه بيده، فهو إذنْ لاشك نبـيّ مقدّس، نشـأ يتيمـاً معوزاً حتى صار فاتحاً عظيماً ".

*** * ***

ومن خلال مطالعاتنا لكتابات المفكرين الغربيين عن الإسلام، نلاحظ تركيزهم الشديد على الجوانب الحضارية والعقدية والأخلاقية، والمقارنة بين الأديان، وهذا كله يبرز جوانب مبهرة في الدين الحق، وقد تألَّقتْ في هذا الميدان المستشرقة الألمانية زيجريد هونكة Sigrid Hunke - المتخصصة في الدراسات المقارنة بين الحضارات والديانات، والتي قامت بتدريس الفلسفة وعلم مقارنة الأديان في العديد من الجامعات، ومن أشهر مؤلفاتها: " شمس الله تطلع على الغرب "، و " العقيدة والمعرفة "، و " الله ليس كذلك "، و " قوافل عربية في رحاب القيصر " - نراها تقول: " إن التاريخ يشهد بأنَّ النبيَّ مُحمّداً - فقط - الذي نجح في إنشاء مجتمع قوي مثالي، يُظلّه ويحكمه النظام الإلهي الأسمى.. وما ذلك إلاَّ لأنَّ المشروع الإسلامي هو محاولة لخلاص التاريخ من الانحطاط والفوضى، فالجهد السياسي الذي اضطلع به مُحمّد هو أمر وتكليف من السماء.. حتى الغزوات العسكرية التي خاضها الرسول إنما كانت في حقيقتها دفاعاً عن السلام، ورغبةً في التغيير الاجتماعي وتهذيب البشرية من أدران الوثنية ومفاسدها، حتى استطاع في نحو عشر سنوات أنْ يضعَ البشرية أمام حقيقة التوحيد الكبرى التي أوشكت على الاختفاء من العقول والقلوب.. فأرسل مُحمّد كتبه ورسائله إلى الأمراء والملوك شرقاً وغرباً، يدعوهم إلى التوحيد، ونبذ المعتقدات الفاسدة ".

ومن قبل الألمانية (هونكة) رأينا المستشرق الأمريكي سنكس Sinkth (1831 - 1883) يقول في كتابه (ديانة العرب): " ظهر مُحمَّد بعد المسيح بخمسمائة وسبعين سنة، وكانت وظيفته ترقية عقول البشر، بإشرابها الأصول الأولية للأخلاق الفاضلة، وبإرجاعها إلى الاعتقاد بإله واحد، وبحياة بعد هذه الحياة.. لم يأتِ مُحمّد لمكافحة التوراة والإنجيل، بلْ إنه يقول: إن هذيْن قد أنزلا من السماء مثل القرآن لهداية الناس إلى الحق،

وإنَّ تعاليم القرآن جاءت مصدِّقة لهما، وأشمل مما جاء فيهما ".

والمتأمل فيما كُتِبَ وقيل يدرك أنه لمْ تَحْظَ شخصية في التاريخ البشري العريض بمثل ما حظيت به شخصية النبيّ (مُحمَّد) من الاهتمام والإشادة والتمجيد من كافة الأعراق والشعوب والطوائف والمِلَل، وفي شتى اللغات. وبالرغم من وجود من حاولوا الطعن في نبوة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم والتشكيك في رسالته بسبب الحقد على الإسلام والجهل به، والبعد عن الموضوعية العلمية في البحث والتدقيق، فإنَّ التيار العام ظل يسير في ناحية التقدير الحقيقي لشخصية مُحمّد صلى الله عليه وسلم في تاريخ البشرية، وفضل رسالته على الإنسانية، بشكل يتوخَّى الإنصاف والموضوعية بعيداً عن الأحقاد الصليبية وتعاليم الكنيسة في القرون الوسطى.

وباطلاعنا على ما قيل عن النبيّ صلى الله عليه وسلم من جانب المفكرين والمستشرقين والفلاسفة الغربيين المنصفِين؛ نجد أن هؤلاء يمثلون مشاهير مفكري الغرب وأعمدة الفكر والفلسفة فيه، وقد حاولوا الوقوف على عظمة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم منبهرين بشخصيته العظيمة ونُبْل أخلاقه وطهارة حياته وخلوّها من كل ما يثلم أخلاقه القرآنية، أمثال: الأديب الروسي الكبير ليو تولستوي L.Tolstoi (1828 - 1910) الذي أُعجِب بالإسلام وتعاليمه في الزهد والأخلاق والتصوف، وانبهر بشخصية النبيّ صلى الله عليه وسلم وقد ألّف كتابه (حِكَم النبيّ مُحمَّد) الذي ضمّنه كثيراً من الوصايا التربوية والمواعظ النبوية، وقال فيه: " إنَّ مُحمّداً هو مؤسس ورسول، كان من عظماء الرجال الذين خدموا المجتمع الإنساني خدمة جليلة، ويكفيه فخراً أنه أهدى أُمّة برمّتها إلى نور الحق، وجعلها تجنح إلى السكينة والسلام، وتُؤْثِر عيشة الزهد ومنعها من سفك الدماء وتقديم الضحايا البشرية، وفتح لها طريق الرقيّ والمدنية، وهذا هو عمل عظيم لا يُقدِم عليه إلاَّ شخص أُوتي قوةً وتأييداً من الله، فرجل مثله جدير بالاحترام والإجلال ".

ورأينـا العـالم الأمريكـي مايكـل هـارت M.Hart **يختـار النبـيّ (مُحمّد) علـى رأس أعظم مائة شخصية من الشخصيات التي تركت بصماتها في تـاريخ البشـرية، ويـردّ نجاحه صلى الله عليه وسلم فـي نشر دعوتـه، وسـرعة انتشـار الإسـلام فـي الأرض، إلى سماحة الإسلام وعظمة وتأثير النبيّ بأخلاقه السامية في الناس، يقول فـي كتابـه (الخالدون مائة أعظمهم مُحمّد): " إنَّ مُحمّداً هو الإنسـان الوحيد فـي التـاريخ الـذي نجح نجاحاً مطلقاً في المجالين الديني والدنيوي، وأصبح قائداً سياسياً وعسكرياً بـلا نظير ".**

ونجد المؤرخ الأوروبي جيمس ميتشنر james Mitshnr **يصف النبـيّ صلـى الله عليه وسلم بـ(الشخصية الخارقـة** powered personality**) فيقول: "... وقد أحدث مُحمّد - عليه السلام - بشخصيته الخارقة ثورة فـي الجزيـرة العربيـة، وفـي الشرق كله، فقد حطّم الأصنام بيده، وأقام ديناً خالداً يدعو إلى الإيمان بـالله وحده ". ويقـول أيضاً: إنَّ أقوال مُحمّد وأفعالـه صارت مصدراً للقـانون، الذي لا يقتصر علـى تنظيم حياة الجماعة الإسلامية وحدها، بلْ يُرتِّب كذلك علاقات المسلمين الفاتحين برعاياهم غير المسلمين الذين كانوا في بداية الأمر يفوقونـهم عددًا ".**

وممــا يُعــزِّز شــهادة هــؤلاء المفكــرين الغــربيين أنهــم أنصــفوا الحقيقــة الكبـرى (الإسـلام) وأجمعـوا علـى صِدق النبـوة الخاتمـة، مـع أنهـم لـمْ يعتنقـوا الإسـلام، ومـا ذلـك إلاَّ لأنّ الحـق والموضـوعية يفرضـان مقاييسـهما علـى مـن كـان ينشـد المعرفـة الخالصـة.. ولـيس أصـدق لـدى الغـربيين مـن المـؤرخ البريطـاني العـالمي آرنولـد تـوينبي Arnold Toynbee **- الـذي انصـبّتْ معظـم دراسـاته علـى تـاريخ الحضـارات - يقـول: " لقـد كـرّس مُحمّـد صلـى الله عليـه وسـلم حياتـه لتحقيـق رسـالته فـي كفالـة هـذين المظهـرين فـي البيئـة الاجتماعيـة العربيـة، وهمـا الوحدانيـة فـي الفكـرة الدينيـة، والقـانون والنظـام فـي الحكـم. وتـمّ ذلـك فعـلاً بفضـل نظـام الإسـلام الشـامل الـذي ضـمّ بـين ظهرانيـه الوحدانيـة والسـلطة التنفيذيـة معـاً.. فغـدتْ للإسـلام بفضـل ذلـك قـوة دافعـة جبـارة لـم**

تقتصـــر علـــى كفالـــة احتياجـــات العـــرب ونقلهـــم مـــن أمّـــة جهالـــة إلـــى أُمَّـــةٍ متحضـرة، بـلْ تـدفق الإسـلام مـن حـدود شـبه الجزيـرة، واسـتولى علـى العـالم بأسره من سواحل الأطلسي إلى شواطئ الهادي ".

وقد اطلع آرنولد توينبي Arnold Toynbee **على سيرة (خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم) فأعلن أنه (لا يمكن لأحد أن يأتي بما أتى به (مُحمّد) فقد أخذ بألبـاب أتباعـه، وسَمَتْ شخصيته لديهم إلى أعلى منزلـة، فآمنوا برسالته إيمانًا جعلهم يتقبّلـون مـا أوحي به إليه، وأفعاله كما سجّلتها السُنّة قد صارت مصدراً للقوانين الحياتية ".**

وقـد كـان (النبـيّ الخـاتم) أبـرز مثـال للشخصـية المتكاملـة؛ فبعـد كـل هـذه القـرون التـي مضـت علـى البعثـة النبويـة لا يـزال (مُحمَّـد) مضـرب الأمثـال، ومُشْتَهَى الأجيـال، وموضـع الإعجـاب لـدى نوابـغ الشـرق والغـرب.. فـلا يمـرّ يـوم إلاّ وتظهـر دراسـة تلـو الأخـرى، تكشـف عـن جوانـب عظمـة هـذا النبـيّ الكـريم. فقـد كتـب المستشـرق روم لانـدو Rome Landau **كتابـاً بعنـوان " الإسـلام والعـرب "** Islam And Arabs **تحـدث فيـه عـن نشـأة الإسـلام وسـيرة النبـيّ وبلاغـة القـرآن، ووسـائل نشـر الإسـلام، ومشـكلات العـالم الإسـلامي السياسـية والفكريـة، والحـروب الصـليبية والاسـتعمار - قـال عـن إخـلاص النبـيّ صـلى الله عليـه وسـلم فـي دعوتـه: " كـان مُحمّـد مفطـوراً علـى التـديُّن، مسـتعداً بطبيعتـه لرسـالة الإصـلاح التـي تلقاهـا فـي رؤاه ومشـاهداته الخفيـة، وكـان مـع هـذه الفطـرة الروحانيـة رجـلاً عملياً يفطـن ببديهتـه لمـا انطـوى عليـه المـزاج العربـي مـن قـوة وضـعف، ويـدرك أن الأنـاة واجبـة فـي تلقيـنهم آداب الإصـلاح، وقـد تأصـل فـي روعـه إيمـان بالتوحيـد لا يتقبـل الهـوادة ولا المصـانعة، وعزيمـة صـادقة علـى استئصـال كـل أثـر للوثنيـة التـي فشـت فـي الأمـة العربيـة، وقـد كانـت رسـالة مُحمَّـد مهمـة هائلـة جسـيمة لا يقـدم عليهـا إنسـان يصـدر فـي أعمالـه عـن بواعـث المنفعـة والأنانيـة، ويرجـو أن يحققهـا بمجهوداتـه أوْ بمسـاعيه الذاتيـة.. وإن الإخـلاص الـذي أدى بـه رسـالته، واليقـين الراسـخ فـي**

نفـوس أتباعـه بصـدقه، والامتحـان الـذي اختبـرت بـه رسـالته مـدى السـنين والأجيـال، لهـي مـن الـدلائل علـى أن مُحمّـداً - عليـه السـلام - بـراء مـن شـبهة الخـداع والادعـاء، فمـا حـدث أن خادعـاً مـدعياً - ولـو كـان مـن أصـحاب العبقريـة - بقيـت لـه رسـالة بعـد ذهابـه، وهـذا هـو الإسـلام بـاقي بعـد ثلاثـة عشـر قرنـاً يجـذب إليـه المـؤمنين عامـاً بعـد عـام، وقـد خـلا التـاريخ مـن مثـل واحـد علـى دعـوى مـن دعـاوى الخـداع أفلحـت فـي إقامـة دولـة شـامخة وحضـارة مـن أنبـل الحضارات الإنسانية ".

أجل! لقد أُعِدَّ (النبيّ الخاتـم) ليحمل أكمل رسالة وأعظم دين، للعالم أجمعه: أحمره وأسوده، انسه وجنه، وليكون شمس الهداية الإلهيـة إلى أن تنفطر السماء، وتتكـدر النجـوم، وتُبـدَّل الأرض غيـر الأرض والسـماوات.. فكـان الأُسـوة الحسـنى للإنسانية، والقدوة العظمى لأهل الإيمان والإحسان، وكان الترجمـة الصادقة لأخلاق القرآن، فحوَّل الإيمـان إلى عمل، والفكرة إلى حركـة، والمبادئ إلى سلوك، فـأدى رسالة ربه " إنما بُعِثتُ لأتمّم مكارم الأخـلاق ". وكـان للأخـلاق وبـالأخلاق، مستحقاً ثناء ربه:{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: ٤].

وقـد أفـاض المفكـرون الغربيـون فـي شـرح هـذا الجانـب، وألّفـوا حولـه كتبـاً ودراسـات متنوعـة، مـن ذلـك كتـاب " فهْـم الإسـلام " للمستشـرق الفرنسـي - المتخصص في شرح العقائد الشرقية - فريثجوف شيون frithjon Schuon يقول فيه مُصحِّحاً لما يفهم الغربيون عن المناقب " الشخصية " التي اتصف بها النبيّ صلى الله عليه وسلم " إن مصدر الخطأ في هذا الفهم تصورهم للرسول الديني على صورة واحدة هي صورة بوذا والمسيح، وهي صورة تحيط بها هالـة من غير هذا العالم الإنساني لما فيها من محو الذات ومحو العلاقات الدنيوية. لكن " مُحمّداً " عليه السلام لم تكن تحتويه هذه الهالة من غير العالم الإنساني، لأنـه رسول شريعة وصاحب جهاد في هذه الحياة وفي الحياة الأخرى، ومثاله من صور الرسالة الدينية، إنما هي صورة إبراهيم وموسى - عليهما السلام - مع تفاوت الأفق والمجال.

وللمؤلف تفسير " فلسفي " لعظمة النبيّ الخاتم كما توحي به العقيدة الإسلامية.. فهو - صلوات الله عليه - مثال " الإنسان الكامل " الذي لا مُرتقى بعده لدرجات الكمال، بلْ هو مثال الإنسان الخالد الجامع بين الفضائل السماوية والفضائل الأرضية.. فهو مثال للإنسانية في صميمها على صورة غير الصورة التي يتمثلها الغربيون لبوذا والمسيح.

وفي كتابهما (القادة الدينيون) قال الأخوان: هنري، ودانالي توماس: " في القرن السابع الميلادي حين أصيبتْ الدنيا بالجفاف؛ حين فقدت اليهودية مولدها، واختلطت المسيحية بموروثات الأمم الرومانية والبربرية، نبع فجأة في المشرق ينبوع صافٍ من الإيمان ارتوى منه نصف العالم، وإن حكمة الله لعجيبة، ذات قوة في قضائها العجيب، هذا الينبوع الصافي قد انبثق من أجدب بقعة بين بقاع الأرض قاطبة وهي صحراء الجزيرة العربية ".

ويمضي الأخوان، قائلين: " إنَّ من الحق أن يُلاحَظ أن صدق محمد لا يتجلَّى في كتابٍ مُقدَّسٍ فحسب، بلْ هو مُتَجَلٍّ كذلك في حياةٍ مقدسة، لأنه كان بأصدق معاني الكلمة نِعْمَ المثال للإنسان، وللمسلم الفاضل الذي أسلم نفسه إلى الله إسلامَ السمع والطاعة، ولم يدَّع قط صفةً من الصفات الإلهية، بل كل ما ادَّعاه وكرَّره أنه بشرٌ.. ولا يجهل أن دينه دين عملٍ لتحقيق الحياة الصالحة، وليس مجرد نظرياتٍ وأقوالٍ يطول فيها الجدل والمجال.. والإسلام بكل أبعاده لا يُخالف الديانات الأخرى، بلْ هو دينٌ يجمع ويؤلف، ولا يطرد أو يستثني، ومن أدب المسلم أن يحترم عقائد غيره، وأن يؤمن بأنَّ العالم أمةٌ واحدة، تدين لإلهٍ واحدٍ، هو رب العالمين ".

* * *

الحقيقة الكبرى

ليس هذا فحسب؛ بلْ إذا أراد الناس - كل الناس - أن يقفوا على الحقيقة الكبرى (الإسلام The Islam) فليسألوا الفلاسفة الكبار؛ ليعرفوا منهم ما الذي توصّلوا إليه بعد عنائهم في البحث والمطالعة.. خاصة إذا أخذنا في الاعتبار أن الفكر الفلسفي قد نشأ وترعرع في حضن الدين، فقد كان الارتباط بين الفلسفة والدين ارتباطاً وثيقاً منذ القِدم، حيث كان التفكير الفلسفي ممتزجاً بالتفكير الديني، وقد قيل في هذا الصدد تلك العبارة المشهورة التي تقول: " إن الفلسفة بنت الدين وأم العلم ". وليس هناك خلاف بين الهدف الذي يسعى إليه كل من الدين والفلسفة، فالفلسفة تهدف إلى معرفة أصل الوجود وغايته، ومعرفة سبيل السعادة في العاجل والآجل، وهذه هي موضوعات الدين بمعناها الشامل للفروع والأصول. وفي هذا يقول فرنسيس بيكون Francis Bacon: " إن التعمق في الفلسفة ينتهي بعقول الناس إلى الإيمان.. وإذا ما صادف عقل الإنسان أسباباً ثانوية مبعثرة في الطبيعة فقد يقف أحياناً عندها، ولا يتابع السير إلى ما وراءها، ولكنه إذا أمعن النظر، فشهد سلسلة الأسباب كيف تتصل حلقاتها، فإنه لا يجد بُدّاً من الارتماء في أحضان العناية الإلهية والتسليم لله ".

ويقول رينيه ديكـارت Rene Descartes (1597 - 1650) في كتابه " التأملات " : " يبدو لي من الملائم جداً في هذا المقام أن أقف هنيهة وجيزة لكي أعاين هذا الإله ذا الكمال المطلق، ولكيْ أُمعِن النظر في صفاته البديعة، ولكي أتأمل بهاء نوره الذي لا مثيل له، ولكي أتعشقه وأتعبّد له، على الأقل بقدر ما في وسعي وما تسمح به قوة ذهني الذي كأنما يرتد من هذا التطلع مبهوراً. فكما أن الإيمان يعلّمنا أن الغبطة العظمى في الحياة الأخرى، إنما تُنال بهذه المعاينة للجلالة الإلهية، كذلك تُعلّمنا التجربة ولا تزال بأنّ تأملاً كهذا - وإنْ يكن بعيداً كل البعد عن الكمال - يتيح لنا أن نظفر من الرضا بأكبر قسط

نستطيع أن ننعم به في هذه الحياة ".

ونظراً لكثرة هؤلاء الفلاسفة، وكثرة المؤلفات التي وضعوها عن الإسلام، فإننا سنكتفي برأي الفلاسفة الفرنسيين فقط، أوْ كما قيل: يكفي من القِلادة ما يحيط بالعنق!

يرى الفيلسوف الفرنسي وولتر walter **" أن السُّنَن التي أتي بها النبيّ مُحمَّد كانت كلها قاهرة للنفس ومهذبة لها، وجمالها جلب للدين المُحمّدي غاية الإعجاب ومنتهى الإجلال، ولهذا أسلمتْ شعوب عديدة من أمم الأرض، حتى زنوج إفريقيا، وسكّان جزر المحيط الهندي ".**

أمّا الفيلسوف والمؤرخ الفرنسي هنري بولا نفلييه H.Boulainvillier **(**1658 - 1722**) فقد ألّف كتاباً بعنوان " حياة مُحمّد " تناول فيه حياة رسول الإسلام حتى الهجرة، يقول في مستهل كتابه هذا: " كان مُحمّد أداة الله التي قضى بها على العبادة الباطلة وأحلّ محلها العبادة الحقة.. ولولاه ما عرف أحد الله ومجّده كما يليق به ".**

ويقول الفيلسوف/ برتراند رسل (1872 - 1970**): لقد قرأتُ عن الإسلام ونبيّ الإسلام، فوجدتُ أنه دين جاء ليصبح دين العالم والإنسانية، فالتعاليم التي جاء بها محمَّد، والتي حفل بها كتابه، مازلنا نبحث ونتعلق بذرات منها، وننال أعلى الجوائز من أجلها، فكان محمد بتعاليمه وكتابه أحق بكل الجوائز، لكنه لمْ يسعَ إلى ذلك، بل ترك الأمور تسير بطبيعتها ".**

ويُعدّ جان جاك روسو Jean Jacques Rousseau **فيلسوف الثورة الفرنسية الأكبر؛ المولود عام** 1788 **وله مؤلفات عديدة منها: (العقد الاجتماعي** Social Contract**) و(أصل التفاوت بين البشر) وكان قد أثَّر كغيره في العقل الأوروبي من خلال نظريته في العقد الاجتماعي، ولا يزال يحتل مكانة بارزة في الفكر الغربي، يقول** Rousseau**عن نبيّ الإسلام: " لمْ يرَ العالَم حتى اليوم رجلاً استطاع أن يُحوِّل العقول والقلوب من عبادة الأصنام**

إلى عبادة الإله الواحد إلاَّ مُحمّداً، ولوْ لـمْ يكون قد بدأ حياته صادقاً أميناً، ما صدَّقه أقرب الناس إليه، خاصة بعد أن جاءته السماء بالرسالة لنشرها على بني قومه الأصلاب العقول والأفئدة، لكن السماء التي اختارته بعناية كي يحمل الرسالة كانت تؤهله صغيراً فشبّ متأملاً مُحباً للطبيعة ميّالاً للعزلة لينفرد بنفسه مع خالقه... لذلك نجح في رسالته واستطاع أن يقنع قومه بأنَّ خالق هذا الكون واحد لا شريك له، فآمنوا به وبما قال، ولأنَّ رسالة مُحمّد قوية وأعطته قوة راح ينشر بها الرسالة فوجدت صدىً غير عادي، وكلما أراد أن يجعل بني قومه في قوته كان يتلو عليهم القرآن فيجعلهم يطلبون منه أن يأمرهم بما أراد الله لنشر الإسلام في ربوع الأرض، وكانوا بالقرآن ينتصرون ويفتحون الممالك، ويسودون العالم ".

وفي موضع آخر، نجد Rousseau يناشد الرسول معلناً افتخاره به، فيقول: ".. أيها النبيّ الرسول خذ بيدنا إلى موقف الشرف والفخار، فنحن من أجلكَ نودّ الموت أوْ الانتصار ".

أمَّا الفيلسوف الفرنسي " جوستاف لوبون " G.Lebon (1841 - 1931) وهو من فلاسفة وقِمم علم الاجتماع، وله عدة كتب منها: (حضارة العرب) وكتاب (الحياة) الذي يقول فيه: " إنّ مُحمّداً ظهر بمظهر الحكيم العظيم، والرحابة الفسيحة، إزاء أهل الذمة، وحرر بلاداً واسعة من الروم والفرس، وترك أهلها في طليعة الأمم ".

وفي كتابه " حضارة العرب " يقول Lebon: " إذا ما قِيستْ قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان مُحمَّد أعظم من عرفهم التاريخ؛ فكان يقابل ضروب الأذى والتعذيب بسعة الصدر، وكان صبوراً قادراً على احتمال المشاق، ثابتاً بعيد الهمّة، ليّن الطبع وديعاً، وكان عظيم الفطنة ".

ويؤكد الفيلسوف والمفكر الفرنسي فانسان مونتيه f.Moantia - الأستاذ بالسوربون، وصاحب المؤلفات الشهيرة، منها: " مفاتيح الفكر العربي " و " الإرهاب الصهيوني "، و " المسلمون في الاتحاد السوفيتي "، و " الإسلام في أفريقيا السوداء "، كما قام بترجمة " مقدمة ابن خلدون " إلى الفرنسية. يؤكد أن: " كل شيء ورد عن مُحمّد يشهد بنبوته، وأنه مبعوث من عند الله، وليس من عنده أو من صنعه هو، فمن المستحيل أن تكون كل هذه الحِكَم والوصايا والأوامر والنواهي منسوبة إلى أحد من البشر العاديين، إلا أن يكون نبياً من عند الله ".

واستهلّ الفيلسوف والباحث رينيه غينيو R. Jinyu كتابه (رسول الدنيا world prophet) بقوله: " لقد أردتُ أن أستعصم بنص إلهي مقدّس لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلم أجد بعد الدراسة الطويلة العميقة المضنية سوى القرآن الكريم، فهو الكتاب الوحيد الذي أقنعني وأمَّنَّ على ما في قلبي. ورسول الإسلام هو الرسول الذي أحببته وسعدتُ بالسير تحت لوائه، وغمرتني أقواله وأفعاله بالسعادة النفسية والسكينة الروحية. ولولاه صلى الله عليه وسلم لغرقتْ الإنسانية في بحار المادية والإلحاد والانحلال الخُلُقي والدمار الروحي ".

وهذا هو ألفونس لا مارتين Lamartinn (1869 - 1790) فيلسوف وشاعر فرنسا الشهير - الذي ألّف أفضل كتاب عرفه الغرب بعنوان (مُحمّد Muhammad) يقول فيه:

ويقول لامارتين: " ما من إنسان ألبتة رسم لنفسهِ إدراك هدف أسنى مما نوى هو أن يبلغ، إذّ كان هدفاً يفوق طاقة البشر، يتمثل في نسف المعتقدات الزائفة التي تقف بين المخلوق والخالق، وإرجاع الله للإنسان، وإرجاع الإنسان لله، وبعث فكرة الألوهية المجردة المقدسة في خِضم فوضى الآلهة المادية المشوهة، آلهة الوثنية. وما من إنسان ألبتة - في نهاية المطاف -

استطاع أن ينجز في وقت أوجز ثورة على الأرض، أعظم ولا أبقى مما أنجز الرسول ".

فإذا كانت عظمة المقصد، وضآلة العدة، وضخامة النتيجة، هي مقاييس عبقرية الإنسان الثلاثة، فمن يجرؤ أن يقارن - على الصعيد الإنساني - أيَّ عظيم من عظماء التاريخ الحديث بمُحمَّد؟ إذْ إنَّ أبعدهم في الشهرة لمْ يهز سوى أسلحةٍ وقوانين وممالك، ولمْ يؤسس - إنْ كان أسس شيئاً - سوى قوة مادية غالباً ما انهارت قبل أن ينهار هو!

أمَّا محمد فإنه زلزلَ جيوشاً وتشريعات، وأنشأ ممالك، وهزَّ شعوباً وعروشاً، بلْ إنه هزَّ فوق ذلك معابد وآلهة، وأدياناً وأفكاراً ومعتقدات وأرواحاً، وأقام على أسسٍ كتاباً صارت كل كلمة فيه قانوناً، انتماءً إلى أمةٍ روحية تجمع شعوباً من مختلف اللغات والأجناس، وطبع في تلك الأمة بأحرفٍ لا تُمحى، مَقْتَ الآلهة الزائفة، وعِشقَ الله الواحد المجرد ".

ويمضي - لامارتين - قائلاً: " لمْ يحدث من قبل أن كرَّسَ إنسان نفسه سواء طواعية أوْ مضطراً في سبيل هدفٍ سامٍ، مثلما كرّس مُحمّد نفسه في سبيل الإسلام، ولمَّا كان هدفه عظيماً يتمثل في القضاء على الخرافات التي كانت تفصل بين الإنسان وربه، وفي سبيل تقريب الإنسان من خالقه، لاستعادة الفكرة الإلهية المقدسة، والتفكير المتّزن المعقول وسط الفوضى الضاربة بين المادة والآلهة المشوهة المعروفة بالأوثان التي كانت في عهده. ولمْ يحدث من قبل أن قام إنسان بعمل يفوق طاقة البشر بأبسط الوسائل والأسباب كمُحمّد، فلم يكن لديه من أجل تنفيذ فكرته وتحقيق هدفه الأعظم وسيلة غير شخصه، فلا مساعد ولا معين غير بضعة رجال يُعدّون على الأصابع، ويعيشون في ركن من الصحراء. فلم يتحقق لإنسان مثلما تحقق لمُحمّد، فقد أمكن تحقيق ثورة دائمة وعظيمة في العالم، وساد الإسلام كعقيدة في جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية، كما غزا خلفاؤه باسم الله بلاد فارس وخراسان

وآسيا الصغرى وغرب الهند وسوريا والحبشة، وما كان يعرف بالقارة الأفريقية وجميع جزر البحر المتوسط وإسبانيا وجزء من بلاد الفرنجة. وإذا أخذنا معياراً لعبقرية الإنسان مثل عِظم الهدف وضَعف الوسيلة وإبهار النتائج، فلم يجرؤ أحد أن يقارن رجلاً من أيّ عصرٍ بمُحمّد، فغالبية مشاهير الرجال اشتُهروا بما يتفاخرون به من قوة وسلاح، أوْ من قوانين ولوائح، أوْ ما بَنَوْهُ من إمبراطوريات ودول، وهؤلاء المشاهير إذا كانوا قد أوجدوا شيئاً؛ فهذا الشيء لا يزيد ولا ينقص عن شكل من أشكال القوى المادية التي سرعان ما تنقضي وتتهاوى أمام ناظريهم. أمّا هذا الرجل فلم يحرك الجيوش والفيالق العسكرية؛ بلْ أتى بالتشريعات والقوانين، وبنى الدول والإمبراطوريات ورفع الشعوب والأمم، وأدخل في دينه ملايين من الناس حتى بلغوا نحو ثلث سكان العالم، وأكثر من ذلك استطاع أن يُحرج الآلهة التي كانت منتشرة في عهده والعقائد والأفكار والمعتقدات الباطلة، فجاء بعقيدة صافية، جمعت بين أناس وشعوب اختلفت ألسنتهم وتنوعت جنسياتهم على أساس ما جاء في الكتاب الأوحد، الذي تحوّل كل حرف منه إلى قانون. لقد ترك لنا عقيدة إسلامية لا تنمحي شخصيتها، ولا تزول معالمها، تقوم على نبذ الأصنام والآلهة الكاذبة، وعلى محبة الواحد الأحد الباقي، وهذه العقيدة التي حاربت الإلحاد شكّلت في الوقت ذاته أخلاق أتباع مُحمّد، ففتحوا ثلث العالم..
إن فكرة التوحيد التي نادى بها مُحمّد وسط نظريات اللاهوت التي أخذت تتضاءل وتنهار، كانت في حد ذاتها آية ومعجزة، فما أن تحدّث هذا الرسول ونطقت شفتاه بالتوحيد حتى انهارت المعابد القديمة التي كانت تضم الأصنام، وأضاء شعلة قوية في ثلث أنحاء العالم. إنَّ حياته وعبادته وتأملاته واستنكاره الخرافات التي كانت سائدة في وطنه، وجرأته في تحدّي شراسة عبدة الأصنام، وثباته وصبره على أذاهم ثلاث عشرة سنة في مكة، ثم تجلّده أمام الازدراء الذي وجده من قومه، حتى كاد أن يذهب ضحية كيدهم، مضافاً

إلى كل ذلك مثابرته على الوعظ والتبشير لإعلاء كلمة الله، ثم خوضه الحروب غير المتكافئة ضد أضداد لا قِبل له بها، ثم إيمانه بنجاحه، وشعوره بالأمان والراحة خلال ما صادفه من أحداث، كذلك صبره خلال نجاحاته وانتصاراته، وحصر كل أهدافه وتوجيهها نحو فكرة واحدة، وعدم سعيه إطلاقاً في سبيل إمبراطورية له.. ثم إيمانه القوي وصلاته الدائمة التي لا تنقطع بالله، وتلقّيه الوحي الإلهي، وأخيراً موته وانتصار الإسلام بعد موته، كل ذلك يشهد بأنّ مُحمّداً لمْ يكن دَعيّاً، بلْ كان رسولاً مؤمناً برسالته، لقد كان إيمانه بهذه الرسالة قوياً جعله يستعيد العقيدة التي نادى بها إبراهيم والتي تقوم على التوحيد.. لقد كان مُحمّد خطيباً ورسولاً ومُشرّعاً ومُقاتلاً وجندياً منتصراً وقائد أمّة ومنادياً بعقيدة نادى بها إبراهيم.. كما كان المهندس الذي ضمّ حوالي عشرين إمبراطورية في إمبراطورية روحية واحدة.. هذا هو مُحمّد. ونحن إذا ما حكمنا عليه بالمقياس الدنيوي الذي نقيس به عظمة الإنسان، حقَّ لنا أن نتساءل: هل هناك رجل أعظم من مُحمّد؟! ".

صدقت أيها الفيلسوف والأديب الكبير.. فليس هنا أوْ هناك رجل كمُحمَّدٍ أبداً.

هذا قليل من كثير من شهادات الفلاسفة المنصفِين، الذين أبتْ ضمائرهم إخفاء الحقيقة، أوْ كتمان الشهادة، في ظل أجواء استترتْ فيها الضمائر، وتلبّدتْ بضباب الاستشراق والتبشير والاستعمار!

ويظلُّ إيماننا؛ أنَّ الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم قد رفع الله ذِكْره، وأعلى قدره، فلا يحتاج إلى شهادة من فيلسوف أوْ مستشرق أوْ مستغرب!

وهبني قلتُ هذا الصبحُ ليلٌ ::: أيعمى العالمون عن الضياءِ؟!

*** * ***

روائع (المحمّديّات)!

نظراً لكثرة الموسوعات والمؤلفات التي أنجزها كبار المستشرقين والفلاسفة والأدباء الغربيين عن (إمام الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم) فإننا سنكتفي بالإشارة إلى بعضها فقط، منها:

(مُحمّد في مكة، ومُحمّد في المدينة، ومُحمّد نبيّ ورجل دولة) للقِس البروتستانتي (مونتجمري وات) Montgomery watt، **و(الله في السماء) للقِس الكاثوليكي لوزان** Lausanne، **و(الإسلام رمز الأمل) لعالم اللاهوت الكاثوليكي السويسري المعاصر البروفيسور هانز كونج** Hans kung، **و(سيرة النبيّ مُحمّد، ومُحمّد نبيّ هذا العصر** Muhammad A Prophet for Our Time**) للراهبة الإنجيلية كارين أرمسترونج** Karen Armstrong **و(حياة مُحمّد) للفيلسوف والمؤرخ الفرنسي هنري بولا نفلييه**H.boulainvillier، **و(الديانة المُحمّدية) للمستشرق الهولندي هادريان ريلاند** H.reland، **و(مُحمّد: حياته وتعاليمه) للمفكر الألماني أرنست ماير**E.meier، **و(نشيد مُحمّد) للشاعر الألماني جوته** Goethe، **و(النبي مُحمّد) للفيلسوف والشاعر الفرنسي ألفونس لا مارتين** Lamartinn، **و " مُحمّد والقرآن " للمستشرق إدوارد مونتيه** E.montet، **و(حياة النبيّ مُحمّد) للمستشرق الأسكتلندي السير وليم موير** W.Muir، **و(حِكَم النبيّ مُحمّد) للروائي الروسي ليو تولستوي** L.tolstoi، **و(الشخصية الخارقة) للمؤرخ الأوروبي جيمس ميتشنر** James Mitshnr، **و(حياة مُحمّد) للمستشرق الألماني جوستاف فايل** Veil، **و(الأبطال) للمؤرخ الإنجليزي توماس كارلايل** Th. Carlyle، **و(سيرة مُحمّد) للمستشرق الدانماركي فرانتس بول** buhl، **و(حياة مُحمّد) للمستشرق الألماني هوبرت جريميه** H.grimme **و(الخالدون مائة أعظمهم مُحمّد) للعالم الأمريكي مايكل هارت** M.Hart، **و(حياة مُحمّد) للمستشرق الألماني تيودور نولدكه** Noldeke، **و(مُحمّد ونهضة الإسلام) للمستشرق اليهودي الإنجليزي مارجليوث** margoliouth، **و(العقيدة والشريعة**

في رسالة مُحمّد) للمستشرق اليهودي المجري جولد زيهر Ignaz joldziher ، **و(رسول الدنيا) للفيلسوف والباحث رينيه غينيو**r. Jinyu ، **و(الإسلام قوة الغد العالمية) للمستشرق الألماني باول شمتز** pawell Shimtes، **و " الرسول " للورد هدلي** Lord Hedly، **و(مُحمّد أعظم الرسل) للأديب والسياسي الأيرلندي جورج برناردشو** B.show، **و(حياة مُحمّد) للمستشرق الألماني " تيودور نولدكه، و " مُحمّد وانتهاء العالم في العقيدة الإسلام " للمستشرق الفرنسي باول كازانوفا** paul Casanova، **و(النبيّ مُحمّد) للمستشرق والعالم الألماني المعاصر رودي بارت** rudi paret، **و " أعظم عظماء التاريخ " للمؤرخ الشهير ول ديورانت**W.Diurant، **و(شمس الله تطلع على الغرب، والعقيدة الإسلامية والمعرفة) للمستشرقة الألمانية زيجريد هونكة** Sigrid Hunke، **و(مُحمّد رسول الله) للمستشرقة الألمانية " أنا ماري شمل "** Annemari Schimmel، **وغير ذلك من (المُحمّديات) التي أنجزها علماء الغرب وعباقرته المنصفون في العصر الحديث.**

جدير بالذكر؛ أن مؤلفات الغربيين في هذا الصدد بالذات؛ خلت من التكرار والثرثرة والحشو، بلْ جاءت عميقة غاية العمق، وجميعها ركّزت على عظمة التشريع الإسلامي ومرونته، وأسبقيته على سائر الدساتير التي عرفها العالم؛ في النظم القانونية والإدارية والعسكرية والاجتماعية.

ولعلَّ علماء القرن العشرين وفلاسفته كانوا أكثر موضوعية ممن سبقوهم في العصور الوسطى؛ فلم تعد للكنيسة هناك أيّ سُلْطة على كاتبٍ أوْ مفكّر، خاصة بعدما نادت (اللوثرية Lutheranism **) بـ " شنق آخر إقطاعي بأمعاء آخر قسيس " بلْ إنَّ الكنائس الغربية - الآن - معروضة للبيع، بعدما اصطدمت بالعقل، وحاربت العلم، وحكمت على العلماء والمفكرين بالشنق والحرق!**

والملاحظ - أيضاً - في كتابات الغربيين، أنهم كثيراً ما يركّزون على أزماتهم الاجتماعية والنفسية، ومشاكل الحضارة الغربية، لذلك لجؤوا إلى سيرة (نَّبيِّ

الإسلام) للبحث عن حلول لمعاناتهم وإنقاذ مجتمعاتهم من الضياع والانهيار. وبالفعل فقد وجدوا أن (الإسلام) وحده هو القادر على حل معضلات حضارتهم المادية المتآكلة، واكتشفوا أن الخروج من مشاكلهم المستعصية يكمن في قوانين الإسلام وشريعته العالمية، وأيقنوا أن سيرة (مُحمّد) وأقواله وأفعاله هي الملاذ الآمِن، وشاطئ النجاة، ومرفأ السلامة.. فهرول فريق منهم نحو عدالة الإسلام، واعتنقه بكامل إرادته، ونافح عنه بقوة، أمثال: المفكر اليهودي النمساوي محمد أسد - الذي كان اسمه Leopold veiss، **وروجيه جارودي** Roger Garaudy، **ومراد هوفمان** Murad Hofmann، **وغيرهم. وهناك آخرون لـمْ يؤمنوا بعد؛ لكنهم أقرُّوا بحقيقة الإسلام الكبرى في هذا الوجود... لكن يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق!**

* * *

(نبيّ الرحمة صلى الله عليه وسلم)
في مؤلفات النَصَارى العرب

لقد تسابق المفكرون والمؤرخون والكُتَّاب النصارى العرب، فقدَّموا إلى (المكتبة المُحمَّدية) خلاصة ما جادت به قرائحهم؛ لأنهم رأوا في النبيّ الخاتم صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في كل جانب من جوانب العظمة، فاجتهدوا في دراسة سيرته، وتحليل مواقفه، وتفسير كلامه، بلْ جميع سكناته وإشاراته على النحو الذي لم تعرف له البشرية مثيلا!

نعم.. إنَّ كثيراً من الكُتّاب والمؤرخين والباحثين النصارى ألّفوا موسوعات ضخمة، وخصّصوا كتباً فريدة تتناول رسالة نبيّ الإسلام صلى الله عليه وسلم وتتحدث عن سياسته، وغزواته، وصفاته وأخلاقه، وتأثيره في الحياة الإنسانية عامة... ومن بين هؤلاء المفكرين والمؤرخين النصارى الفضلاء: لبيب الرياشي - صاحب كتاب " نفسية الرسول العربي " وخليل إسكندر القبرصي - مؤلف كتاب " دعوة نصارى العرب للإسلام " وخليل جمعة الطوال - صاحب كتاب " تحت راية الإسلام "، وإدوار غالي الدهبي، كما كَتَبَ الدكتور/ نبيل لوقا بباوي حوالي عشرة كتب حول شخصية الرسول الأكرم، منها: " مُحمّد من مولده إلى وفاته "، و " دفاعاً عن زوجات الرسول "، و " غزوات الرسول "، و " عبقرية مُحمّد "، و... إلخ. والملاحظ أن هؤلاء الكُتّاب لم يعتنقوا الإسلام، وإنما ظلوا على نصرانيتهم، وهو ما يُعطي أهمية لما يقولونه حول رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم إذْ إنه إنصاف جاء ممن لا يؤمنون به، ويُعطي في الوقت نفسه صورة لذلك التأثير الهائل الذي تحدثه شخصية خاتم الأنبياء في سائر العصور ومختلف الأقطار.

لقد تناول هؤلاء الكُتّاب سيرته من منطلق الانبهار بشخصية نبيّ عظيم أثَّر في قومه، فأخرجهم من ظلمات الكفر والجهالة والضلالة إلى نور الإيمان والعلم والهداية، ووحَّدهم بعد تفرّق تحت راية الإسلام، وصنع منهم أمة ذات كيان

وصاحبة حضارة عريقة، أثرت في غيرها من أمم الأرض. فضلاً عن ذلك؛ فإنَّ النظرة التي نظروا من خلالها إلى شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم تعدّ ذات قيمة علمية في التناول، تضاف إلى ما كتبه الكُتّاب والمؤرخون المسلمون الذين قدموا سيرة النبيّ العظيم صلى الله عليه وسلم وفقاً لمنهج علمي وتناول موضوعي جاد.

كذلك؛ فإنَّ هؤلاء الكُتّاب يعبّرون عن نوع من الشجاعة الأدبية والجرأة المحمودة، بدخولهم إلى مجال الكتابة عن الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم. فقد عبَّروا عن سموّ سلوكهم، ونُبل غايتهم وحبّهم للحق، وتجرّدهم من التعصب.. وسنكتفي في هذا المقام بالحديث عن نفر من هؤلاء المفكرين والمؤرخين النصارى، لمعرفة منهجهم في التحليل، وما توصلوا إليه من خلال البحث والدراسة والتفسير!

فهذا هو المؤرخ اللبناني/ فيليب حتى (1886 - 1978) أستاذ الحضارة بجامعة كولومبيا بالولايات المتحدة، والمتخصص في تاريخ العرب، يقول في كتابه " تاريخ العرب " : " تركت أعمال مُحمّد اليومية وسلوكه في الأمور الخطيرة والصغيرة أبعد الأثر في النفوس؛ بحيث أصبحت قدوة يقتدي بها الملايين إلى يومنا الحاضر، ولم يحدث أن اعتُبر شخص واحد عند أيّ طائفة من الجنس البشري المثل الكامل للإنسان فقُلّدتْ أفعاله بمنتهى الدقة كما حدث لمُحمّد " صلى الله عليه وسلم.

وقد تميز " فيليب حتى " بأنه كان مؤرخاً غزير الإنتاج، وأفرد للتاريخ العربي العام كتابيْن: " تاريخ العرب "، و " صانعو التاريخ العربي ". كما ألّف أهم كتابين عن حضارة الإسلام، هما " الإسلام في نظر الغرب "، و " الإسلام منهج حياة ".

ففي كتابه (الإسلام منهج حياة) الصادر عن دار الفكر المعاصر بدمشق يقول: " إن اللغة العربية هي لغة القرآن التي كانت الأساس الذي قامت عليه

أمّة جديدة أخرجت للناس، أمّة جاءت بها بعثة مُحمّد صلى الله عليه وسلم من قبائل متنافرة متنازعة لم يُقدّر لها من قبل أن تجتمع على رأي واحد. وهكذا استطاع رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم أن يضيف حداً جديداً رابعاً إلى المأثرة الحضارية ذات الحدود الثلاثة من الدين والدولة والثقافة، ذلك الحد الرابع الجديد كان إيجاد أمة ذات لغة فوق اللغات. ويرى أن إقامة الأُخوة في الإسلام مكان العصبية الجاهلية - القائمة على الدم والقرابة - للبناء الاجتماعي كان في الحقيقة عملاً جريئًا جديداً قام به النبيّ العربي صلى الله عليه وسلم.

ويشير إلى أنه " في الكُتّاب المعاصرين لنا نفرٌ يحاولون أن يكتشفوا الأعمال الباهرة التي حققها مُحمّد صلى الله عليه وسلم أوْ أن يعالجوا حياته الزوجية على أساس من التحليل النفسي، فلا يزيدون على أن يضيفوا إلى أوجه التحامل وإلى الآراء الهوائية أحكاماً من زيف العلم ".

ويؤكد أن " صفات النبيّ مُحمّد صلى الله عليه وسلم مثبتة في القرآن بدقة بالغة فوق ما نجد في كل مصدر آخر.. وإن المعارك التي خاضها والأحكام التي أبرمها والأعمال التي قام بها لا تترك مجالاً للريب في الشخصية القوية والإيمان الوطيد والإخلاص البالغ وغير ذلك من الصفات التي خلقت الرجال القادة في التاريخ. ومع أنه كان في طور من أطوار حياته يتيماً فقيراً، فقد كان في قلبه دائماً سعة لمواساة المحرومين في الحياة ".

وبموضوعية شديدة يقول: " إذا نحن نظرنا إلى مُحمّد صلى الله عليه وسلم من خلال الأعمال التي حققها، فإنَّ مُحمّداً الرجل والمعلّم والخطيب ورجل الدولة والمجاهد يبدو لنا بكل وضوح واحداً من أقدر الرجال في جميع أحقاب التاريخ. لقد نشر دينًا هو الإسلام، وأسّس دولة هي الخلافة، ووضع أساس حضارة هي الحضارة العربية الإسلامية، وأقام أُمة هي الأُمة العربية. وهو لا يزال إلى اليوم قوة حية فعالة في حياة الملايين من البشر ".

*** * ***

الرسالة والرسول

أمَّا المفكر والفيلسوف (نظمى لوقـا) فقد نـالت كتبه شهرة واسعة، حيث قدّم عدداً من المؤلفات الرائعة، منهـا: الله وجوده ووحدانيتـه، الله أسـاس المعرفـة والأخلاق، الله والإنسان والقيمـة، وأبو بكر حواريّ مُحمَّد، وعمر بن الخطاب البطل والمثل والرجل، وعمرو بن العاص، وكتابـه الشـهير " مُحمّد الرسـالة والرسول "، ثم كتاب " مُحمّد في حياتـه الخاصـة " وغيرها. وقد تنـاول سيرة الرسول بطريقـة تحليليـة وعميقـة غايـة العمق.. ووقف يتأمل كل موقف وكل حادثة في حياة الرسول، ويناقشها مقارنـة بما يجري فـي دنيـا النـاس، فتحدث - مثلاً - عن دلائل صِدق نبوة " مُحمّد " ورسالته التي جاهد في سبيلها، وامتُحِن مـن أجلهـا، فصـبر، ولـم يقبـل المسـاومة أوْ الإغـراءات التـي عرضـها القـوم لزعزعة إيمانه، يقول المؤلف: " بماذا يُقاس الإيمان، إنْ لم يكن مقياسه الثبات عليه في أشد الظروف حلكة، وأدعاها لليأس؟ وإنْ لـم يكـن مقياسـه الصبر فـي سبيله على المكـاره؟ وإنهـا لمكـاره من كل نـوع. لعلّ المعنـوي منهـا أقسـى مـن المادي.. لم يُساوم هذا الرسول ولـم يقبل المسـاومة لحظـة واحدة فـي رسالته، على كثرة المساومات واشتداد المحن.. فحيثمـا تعرض الأمر لدعوتـه وعقيدتـه فلا محلّ لمجاملـة مهما قويت بواعثها. أهذا شأن من يملك من الأمر شيئاً؟ أهذا شأن من لا تسيطر عليه قوة قـاهرة أقوى من مراده وهوى نفسه؟ لقد ضُرِبَ وشُجّ وأُهِين فـي كل مكـان فلم يُعْنِـهِ من ذلك شيء سوى خوفـه أن يكون بـالله عليه غضب.. فإنْ لم يكن ربـه غاضباً عليـه فـلا يبـالي!. وقريش تمنّيـه بـانقلاب الحال إلى ملك مؤهل وثراء مذلّل فلا يفكر بشيء من ذلك طرفـة عين، ويُعرِض عنه بغير مبـالاة. فـإنْ لـم يكن نـوراً هو الصدق الصـادق فقد ارتكست مقـاييس تجعل من صاحب هذه المواقف مُساوِماً.. طالِب مغنم.. ".

ويشير - المؤلف - إلى بشرية الرسول، وأنه لا يفرق عنهم إلاّ في أمر الوحي السماوي، وليس بمقدوره أن يأتي بالمعجزات والخوارق التي يطلبونها إلا بأمر الله، فيقول: " إنّ رسول الإسلام هو أول رسول بُعِثَ إلى الناس وانبرى لدعوتهم إلى دينه من غير مدد من المعجزات الخاطفة للأبصار الخالبة للألباب. فقد أُريد للناس أن يشعروا أن رسولهم " مثلهم " حقاً وصدقاً، لا يملك من الخوارق أكثر مما يملكون. وليس له من سلطان عليهم، وإنما الأمر إليهم كيْ يكون اهتداؤهم نابعاً من قدراتهم البشرية، وعن اقتناعهم الذاتي، بغير تأثير غريب عن معدن العقل والضمير.. فيكون اهتداؤهم إيماناً ليست فيه شائبة استهواء أوْ توريط ".

وتحدث - المؤلف - عن تجربة نزول الوحي على النبيّ وما كان من هذا الرسول البشر إزاء هذا الحدث الجلل: " إن هذا الرسول، حينما وقعت له تجربة الوحي أول مرة، وهو يتحنّث في غار حِراء، صائماً قائماً، يقلّب طرفه بين الأرض والسماء.. لم يأخذ هذه التجربة مأخذ اليقين، ولم يخرج إلى زوجه خروج الواثق بها، المتلهّف على شرفها. بلْ ارتعدتْ فرائصه من الروْع، وقد ثقلت على وجدانه تلك التجربة الفذّة الخارقة.. ودخل على زوجه، وكأنّ به رجفة الحُمّى.. ".

وتطرَّق - المؤلف - إلى مفهوم النبوة في الإسلام، فالنبيّ بَشَر، ولا يعدو ذلك أبداً، إلاّ بما يوحيه الله إليه، فلا تأليه على الإطلاق، يقول: " لا تأليه ولا شبهة تأليه في معنى النبوة الإسلامية.. فالعبد عبد، والربّ ربّ، وقد درجت شعوب الأرض على تأليه الملوك والأبطال والأجداد، فكان الرسل أيضاً معرضين لمثل ذلك الربط بينهم وبين الألوهية بسبب من الأسباب، فما أقرب الناس لو تُركوا لأنفسهم أن يعتقدوا في الرسول أو النبيّ أنه ليس بشراً كسائر البشر، وأن له صفة من صفات الألوهية على نحو من الأنحاء. ولذا نجد توكيد هذا التنبيه متواتراً مكرراً في آيات القرآن، نذكر منها على سبيل المثال لا

الحصر{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ} [الكهف: ١١٠]. وفي تخيّر كلمة (مثلكم) معنى مقصود به التسوية المطلقة، والحيلولة دون الارتفاع بفكرة النبوة أو الرسالة فوق مستوى البشرية بحال من الأحوال. بلْ نجد ما هو أصرح من هذا المعنى فيما جاء في سورة الشورى:{فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلا الْبَلاغُ} [الشورى: ٤٨]. وظاهر في هذه الآية تعمّد تنبيه الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه إلى حقيقة مهمته، وحدود رسالته التي كُلِّف بها، وليس له أن يعدوها، كما أنه ليس للناس أن يرفعوه فوقها ".

وقد فكّر " نظمي لوقا " بموضوعية شديدة، في شخصية الرسول والمكانة التي بلغها من هداية البشر فكتب يقول: ".. رجل فرد هو لسان السماء. فوقه الله لا سواه. ومن تحته سائر عباد الله من المؤمنين. ولكن هذا الرجل يأبى أن يداخله من ذلك كِبْر. بلْ يُشفق، بلْ يفرق من ذلك ويحشد نفسه كلها لحرب الزهو في سريرته، قبل أن يحاربه في سرائر تابعيه. ولو أن هذا الرسول صلى الله عليه وسلم بما أنعم من الهداية على الناس وما تمّ له من العزة والأيادي، وما استقام له من السلطان، اعتدّ بذلك كله واعتزّ، لما كان عليه جُناح من أحد؛ لأنه إنما يعتدّ بقيمة ماثلة، ويعتز بمزية طائلة. يُطريه أصحابه بالحق الذي يعلمون عنه، فيقول لهم:﴿لا تُطروني كما أطرتْ النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد الله، فقولوا عبد الله ورسوله﴾. ويخرج على جماعة من أصحابه فينهضون تعظيماً له، فينهاهم عن ذلك قائلاً:﴿لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يُعظّم بعضهم بعضاً﴾.

كما تطرق - المؤلف - إلى زواج الرسول، ومعاملته لأزواجه وأهل بيته، وكيف كان القدوة في كل شيء، فيقول: " كان مُحمّد صلى الله عليه وسلم يملك حيويته ولا تملكه حيويته. ويستخدم وظائفه ولا تستخدمه وظائفه. فهي قوة له تُحسب في مزاياه، وليست ضعفاً يُعَدّ في نقائصه. لم يكن صلى الله عليه وسلم معطل النوازع، ولكنها لم تكن نوازع تعصف به؛ لأنه يسخرها في كيانه في المستوى الذي يكرم به الإنسان حين يطلب ما هو جميل وجليل في الصورة الجميلة الجليلة التي لا تهدر من قدره، بلْ تضاعف من تساميه وعفته وطهره. وبيان ذلك في أمر بنائه بزوجاته التسع رضي الله عنهن... فالإسلام لا يقاوم الحياة، بلْ يقرّ الفطرة البشرية على تقديسها وصيانة ينابيعها من الأكدار، ولا يفصل بين حياة الروح وحياة الجسد ".

كما تحدث - المؤلف - عن أوصاف الرسول وكمالاته الفاضلة الرفيعة التي تتمثل في شجاعته وزهده وكرمه ورحمته وسماحته وعدله وبره وصدقه، وجماع ذلك كله قوله تعالى:{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم:٤]. وأشار إلى بعض المشاهد من تواضع الرسول، فقال: " إن لُباب المسألة كلّها أن الرسول كان أكبر من سلطانه الكبير، فعندما يدهش رجل بين يديه ويرتعش، يقول له:﴿هَوّن عليك، لستُ بملِك! إنما أنا ابن امرأةٍ كانت تأكل القديد بمكة!﴾.

إنَّ مجد هذه الكلمة وحدها يرجح بفتوح الغزاة كافة وأبّهة القياصرة أجمعين. أنت بأجمعك يا رسول الله في هذه الكلمة وما أضخمها - أيها الصادق الأمين! ".

* * *

مُحَمَّد في حياته الخاصة

وفـي كتابـه " مُحَمَّـد فـي حياتـه الخاصـة " الـذي أهـداه نظمـي لوقـا إلـى (السـائرين فـي الظلمـة) نبَّـه فـي مقدمتـه؛ إلـى أنـه مسـيحي المولِـد والمعتقـد. وأوضح أن كتاباته ليست كتباً دينية وإنْ عالجتْ أموراً متصلة بالدين، فالغرض منها - كما يقول - الحثُّ على نزاهة العقل والضمير بصفة عامة، والنظر في سائر الأمور نظراً موضوعياً مُبرءاً عن التحيز والتحامل، وليكون حُجّةً ومثلاً على الموضوعية ".

يتساءل نظمي لوقا: أيُّ الناس أولى بنفي الكيد عن سيرته من " أبي القاسم " الذي حوَّل الملايين من عبادة الأصنام الموبقة إلى عبادة الله ربّ العالمين، ومن الضياع والانحلال إلى السموّ والإيمان، ولم يفِد من جهاده لشخصه أوْ آله شيئاً مما يُقبل عليه طُلاّب الدنيا من زخارف الحطام؟ ".

ثم يمضي قائلاً: " حِفاظاً على معنى الشرف وصيانة لحق المروءة أوجبتُ على نفسي ذلك الإنصاف لشخص أبي القاسم.. أوجبتُ ذلك على نفسي منذ عرفتُ قدره وخطره.. فشهادة الحق من أوجب الأمانات، والساكت عن الحق شيطان.. ".

فـ(نظمي لوقا) عاشق الحقيقة - أراد بكتابه هذا؛ أن يزيل الشكوك، ويدحض الافتراءات التي أراد المغرضون أن يلصقوها - زوراً وبهتاناً - برجل عظيم القدر كـ(مُحَمَّد) عليه السلام. فقال في مقدمة الكتاب: " ليس العِبرة بعدد الزوجات، ولكن العِبرة بالظروف التي أفضتْ به إلى الجمع بينهن، ومنها ظروف اجتماعية ومنها ظروف نفسية.. ".

وقد عرض - المؤلف - ظروف كل زيجة من زيجات الرسول، وما كان من أمرها، وكيف عاشت هؤلاء النسوة أمهات للمؤمنين في بيت النبوة، ومعلّمات للأمة في الأمور الأسرية والنسائية من بعده.. يروين عنه حياته البيتية للناس، حتى أخص الخصائص، إذْ إنه ليس في حياته أسرار تخفى عن الناس. بلْ كان

يقول:﴿حدّثوا عني ولا حرج﴾. تعليماً للأمة وإرشادًا لها. وبالفعل فقد حملن أمانة الدعوة الجديدة، وتعليم الناس الفقه، ورواية الحديث، ونقلْ أخلاق وسلوكيات (صاحب الرسالة) الذي كان مثلاً أعلى، وأسوة حسنة، وقدوة يقتدي بها المقتدون! فقد قالت له إحداهن: " والله لا يخزيك الله أبداً؛ إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلّ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق ". ووصفته أخرى، بقولها: " كان الرسول قرآناً يمشي على الأرض ".

وليس من المنطق أن يحتجّ المفترون والمعاندون بآرائهم القاصرة على شرع سماوي شرعه الله لنبيّه صلى الله عليه وسلم. لقد تناسى هؤلاء المفترون أن زواج الأنبياء عامة أوْ عدم زواجهم مرتبط بتشريعات وحِكَمٍ إلهية عُليا.. فهناك أنبياء كثيرون عدَّدوا الزوجات كإبراهيم، ويعقوب الذي " كان له كثيرات مِلك اليمين هنّ إماء زوجاته " (تكوين ٣٠/ ٤ - ٩). ولا ننسى حالة داود وسليمان " وقد اتخذ داود أيضاً نساء وسراري بأورشليم بعد رحيله من " هيبرون " وولدنَ له بنين وبنات " (صموئيل ١٩/٥) " ولقد أحبَّ الملك سليمان ابنة فرعون بشغف، وكان له عدد كبير من النساء الأجنبيات.. وقد كان له سبعمائة زوجة وثلثمائة أمَة " (الملوك ١/١١ - ٣).

فجميع الديانات السابقة لا تحظر على تعدد الزوجات، حتى الأناجيل التي كتبها تلامذة عيسى عليه السلام لا نجد فيها حظراً على التعدد. وإنَّ التحريم الذي وقع بعد ذلك كان تشريعاً مدنياً لا دينياً، أوْ كان كنسياً يعتمد على الاجتهاد لا على النص.

بلْ إنَّ قراءة التاريخ لا تنبئنا بأن مسألة التعدد أوْ الالتزام بزوجة واحدة مقترنة بدين أو حضارة أو عرق من الأعراق.. فليس تعدد الزوجات من خواص الشرق، ولا الزوجة الواحدة من خواص الغرب، بلْ هناك في الشرق شعوب لا تعرف تعدد الزوجات كالتبت والمغول. وهناك في الغرب شعوب كان عندها تعدد الزوجات كالغولو والجرمانيين، ففي زمن " سيزار " كان تعدد الزوجات شائعاً

عند الغولو، وفي زمن " ناسيت " كان معروفاً عند الجرمانيين، بلْ لقد أباحه بعض باباوات روما لبعض الملوك بعد دخول المسيحية إلى أوربا كشارلمان - ملك فرنسا. بلْ ذهبت الكنيسة إلى أكثر من ذلك، وتجاوزت جميع الشرائع والأعراف والتقاليد، فأباحت الزواج المثلي!

ومن يتأمل في زواج مُحمّد عليه السلام - يدرك أن ما من زوجة منهنّ إلاّ كان زواجه بها لعلّة اجتماعية كتوثيق الصلة بأصحابه، فتزوج عائشة من أبي بكر، وحفصة من عمر، مثلما زوّج بناته لأصحابه كعثمان وعليّ. أوْ الزواج لمصلحة عامة، أوْ للمروءة والنخوة، أوْ إعزاز من ذلّوا بعد عزة، ولاسيما النساء اللاتي تنكسر قلوبهن في الذل بعد فقْد العائل والأقرباء، كسودة، وأم سلمة، وصفية بنت حُيَيّ. أوْ لتأليف قلوب أعدائه بآصرة النسب كجويرية، ورملة بنت أبي سفيان، فلم يكن زواجه منهن لرغبة دنيوية، ولكن لحِكَم ومصالح، وليربط الناس بهذا الدين، خاصة أن للمصاهرة وللعصبية قيمة كبيرة في بلاد العرب، لذا أراد النبيّ أن يجمع هؤلاء ويرغّبهم في الإسلام، ويربطهم بهذا الدين، ويحلّ مشكلات اجتماعية وإنسانية كثيرة بهذا الزواج. أوْ لأمر إلهيّ كزينب ابنة عمته التي أمره الله بزواجها{فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا} [الأحزاب: ٣٧]. فالرسولُ - إذنْ - زُوِّجَ فتزوج. أيْ أُمِرَ بالزواج من العليّ الأعلى، كما أُمِرَ بالصلاة والصيام والقيام والجهاد وما إلى ذلك مما فرضه الله عليه. فلا حيلة له في الاختيار ولا المناقشة، إنما كان عليه السمع والطاعة لربه.

وإنَّ المتأمل في حياة الرسول الخاصة لا ينكِر أن زواجه بنسائه قد كان خيراً من الإخلاء بينهن وبين التأيُّم والمذلة والرجعة إلى الكفر والضلالة.

ومن أسف، أن ينسى المفترون والجاحدون أنَّ المعاصرين لـ " صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم " من المشركين والأحبار، لاسيما المناوئين للدعوة الإسلامية والمتربصين به، لم يتهموه بتعدد الزوجات قط، مع أنهم كانوا

يبحثون عن أية نقيصة كي يلصقونها به!

نسوا أن الرسول صلى الله عليه وسلم بقي إلى نحو الخامسة والعشرين لمْ يتعسّف في طلب الزواج الحلال، وهو مُيسَّر له تيسّره لكل فتى وسيم حسيب. كما نسوا أنه لمَّا تزوج في تلك السن كان زواجه بسيدة في الأربعين اكتفى بها إلى أنْ تُوفِّيتْ وهو يجاوز الخمسين! ونسوا أنه صلى الله عليه وسلم اختار أحساباً في حاجة إلى التآلف أو الرعاية، ولمْ يختر جمالاً مطلوباً للمتاع. ونسوا أنَّ الرجل الذي وصفوه بما وصفوا من تغليب لذّات الحس لمْ يكن يشبع في بعض أيامه من خبز الشعير، ولم يجاوز حياة القناعة قط لإرضاء نسائه وإرضاء نفسه، ولوْ شاء لما كلّفه إرضاء نفسه وإرضائهن غير القليل بالقياس إلى ما في يديه.

نسوا كل هذا، وهو ثابت في التاريخ ثبوت عدد النساء اللاتي جمع بينهن النبيّ صلى الله عليه وسلم ! فلماذا نسوه؟!

نسوه؛ لأنهم أرادوا أن يعيبوا، وأن يتقولوا، وأن ينحرفوا عن الحقيقة، وقد كانت رؤية الحقيقة أيسر لهم من الإغضاء عنها، لوْ أنهم أرادوها وتعمدوا ذكرها ولمْ يتعمدوا نسيانها.

وبعد دحض مزاعم الزاعمين وافتراءات المفترين؛ هل بقي مِن زعم لزاعِم، أوْ ادّعاء لمدَّع... أمْ أنَّ هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ؟!!

* * *

دين الرحمة والسلام

كان المؤرخ والمفكر اللبناني (نصري سلهب) دبلوماسياً لَبقاً، وهب حياته لتحقيق التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين؛ فعاش أميراً للبلاغة وأميراً للكرامة طوال حياته. وعمل سفيراً لبلده في الفاتيكان vatican وله دراسات بالغة العمق فيما يتعلق بعروبة مسيحيي الشرق. عندما تستشكل عليه الأمور، كان يقول: "تراثكَ يا بن عبد الله ينبغي أن يحيا، لا في النفوس والقلوب فحسبْ، بلْ في واقع الحياة، في ما يعاني البشر من أزمات وما يعترضهم من عقبات. تراثكَ مدرسة يلقى على منابرها كل يوم عظة ودرس. كل سؤال له عندكَ جواب، كل مشكلة مهما استعصتْ وتعقدتْ، نجد لها في مأثوراتكَ حلاً ".

وقبل وفاته بسنوات قلائل ألّف نصري سلهب كتابه (الإسلام كما عرفته دين الرحمة والسلام) - الصادر عن " دار النشر للسياسة والتاريخ " ببيروت، لبنان، ط 1، 1997 - يبحث في أصول الدين الإسلامي بوصفه دين الرحمة والسلام، ويهدف إلى الإسهام في إلقاء شعاع على هذا الدين الذي ظل قروناً طويلة هدفاً للطعن والافتراء، والحقيقة أنه أنزل هدى ورحمة للعالمين، فكان مثالاً للتسامح والرفق.

وبعدما صدر هذا الكتاب باللغة العربية، أَذِنَ مؤلفه لمنظمة (الإيسيسكو Isesco) بنشر ترجمتيْه الإنجليزية والفرنسية، وتأتي أهمية الكتاب أنه يصحّح كثيراً من المفاهيم المغلوطة، ويدحض الشبهات والآراء المغرضة التي تروج ضد الإسلام، في نسق عال، وبأسلوب يعتمد الموضوعية والنزاهة أساساً له.

ولـ " نصري سلهب " كتاب آخر على درجة من الأهمية، صدر عام 1970 هو (لقاء المسيحية والإسلام) يقول فيه: " إن الآية التي أستطيب ذكرها هي التي تنبع سماحة إذْ تقول:{وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أنزلَ إِلَيْنَا وَأنزلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ

لَهُ مُسْلِمُونَ} [العنكبوت:٤٦].

ويتابع: " ذلك ما يقوله المسلمون للمسيحيين وما يؤمنون به لأنه كلام الله إليهم. إنها لعبارات يجدر بنا جميعاً، مسيحيين ومسلمين، أن نرددها كل يوم، فهي حجر الأساس في بناءٍ نريده أن يتعالى حتى السماء، لأنه البناء الذي فيه نلتقي والذي فيه نلقى الله: فحيث تكون المحبة يكون الله. والواقع أن القرآن يذكر صراحة أن الكتب المنزلة واحدة، وأن أصلها من عند الله، وهذا الأصل يدعى حيناً (أُم الكتاب) وحيناً آخر (اللوح المحفوظ) أو (إمام مبين).. ".

ويؤكد أن " الإسلام ليس بحاجة إلى قلمنا، مهما بلغ قلمنا من البلاغة. ولكن قلمنا بحاجة إلى الإسلام، إلى ما ينطوي عليه من ثروة روحية وأخلاقية، إلى قرآنه الرائع الذي بوسعنا أن نتعلم منه الكثير ".

*** * ***

في خُطا مُحمّد صلى الله عليه وسلم

أمَّا عن كتابه (في خُطا مُحمَّد صلى الله عليه وسلم) الصادر عن دار الكتاب العربي، بيروت 1970 فهو بمثابة شهادة كاتب مسيحي عبقري تضاف إلى شهادات كُتّاب مسيحيين منصفِين، يقول في تقديمه: (إنه كتاب شهادة " مسيحي " على دين مُحمَّد، وإسهام في تعريف المسيحيين بحقيقة هذا الدين إنما أردته شهادة مسيحي في دين مُحمَّد من لدن الله، من السماء، فأسهم من خلاله في اطلاع إخوة لي مسيحيين على حقيقة هذا الدين، وما يحتوي من ثروات روحية وخُلقية، وعلى ما أدَّى للإنسانية عبر العصور).

ثمَّ استهلَّ كتابه، قائلاً: " بين الإسلام وجاهليه هوة، سأسعى في كتابي هذا إلى ملئها بالورود والرياحين، لتغدو ساحة لقاءٍ وحقل تلاقٍ، بل مكاناً لعبادة الله، والتسبيح بحمده، ورفع الصلاة إليه. ولا أدَّعي القدرة على الإحاطة بالإسلام عمقاً وصُعُداً، إن كتاباً بمثل هذا الحجم لعاجز عن أن يحتوي قبساً ضئيلاً من ذاك النور المشع. فمن الإسلام إذن سأُلِمُّ ببعض جوانب، وأنا سائر في خطا النبي العربي، فلن يكون كتابي هذا بحثاً علمياً أوْ تاريخياً، ولا سرد أحداث ووقائع، وهو لن يكون محاولة شرح وتفسير نصوص، إنما أردتُ وأريده شهادة مسيحي في دينٍ منزلٍ من لدُنِ الله، من السماء، فأُسهمُ من خلاله في إطلاع إخوةٍ لي مسيحيين على حقيقة هذا الدين، وما يحتوي من ثروات روحية وخلقية، وعلى ما أدى للإنسانية عبر العصور من جليل الخدمات. وما أنشِده من الأعماق هو أن ننتقل جميعاً من الجهل إلى المعرفة، لأن المعرفة طريق المحبة، ومن يمشِ على هذا الطريق يدرك الله، لأن الله محبة. وآمُل أن أكون بهذا العطاء القليل قد وضعتُ مدماكاً في صرحٍ نريده جميعاً أن يتعالى صوب الله، صرحٍ فيه نلتقي مسيحيين ومسلمين، لنسبِّحَ بحمد الله ونستغفر، ونعيش إخوةً محبين متحابين، جاعلين من أمتنا سبق شعورٍ بما سوف تكون عليه السماء. ولإخوتي المسيحيين أنَّى كانوا أقولُ بمحبةٍ: قبل أن تلجوا هذا

الكتـاب تعـرّوا مـن كـل مـا علـق فـي أذهـانكم واسـتقر، وامحـوا مـن مخـيلاتكم وأعمـاقكم مـا تـراكم فيهـا عبـر الـزمن مـن آراء ونظريـات، واسـعوا معـي إلـى الحقيقة المجردة، ولا تعتبروا كأمرٍ واقعٍ لا جدال فيـه مـا سمعتم وتسمعون فـي بعض أوساطٍ لا هَمَّ لها سوى زرع البغضاء والتباعد في القلوب والخواطر!!

بعد ذلك؛ نرى - المؤلّف - يُناجي الرسول على صفحات كتابه، فيقول: " يا رسول الله يا مُحمّد.. لقد اشتقنا إلى وقفاتِك التي كنتَ تقفها بين يدي الله، وكان لا يقع فيها بينك وبينه حجاب.. لقد اشتقنا إلى قرآنكَ الذي من جلس يتلوه جاوز السماء.. أمَا آنَ لهذه الأُمة أن تعود إلى تعاليمكَ فتسعد وإلى رحابكَ فتهتدي.. أنا المسيحي المؤمن بإنجيلي أقول: إنّ أمةً لا تعرف قدركَ يا مُحمّد لهي أمّة لا قيمة لها بين الأُمَم ".

ويواصل الكاتب حديثه بعد ذلك، ليردّ على الافتراءات والمطاعن التي يردّدها الغربيون عن الإسلام ونبيه الكريم، فيقول: " في مكة.. أبصر النور طفل لم يمرّ ببال أمهِ، ساعة ولادته، أنه سيكون أعظم الرجال في العالم، وفي التاريخ كله، بلْ أعظمهم إطلاقاً ".

ويقول: " غدا اسم مُحمّد صلى الله عليه وسلم أشهر الأسماء طُرًّا، وأكثرها تردداً على الشفاه وفي أعماق القلوب. وحسبه شهرةً وتردداً أن ملايين المؤمنين في العالم يؤدون كل يوم أكثر من مرة، شهادة مقرونة باسم الله وباسمه ".

ويرى - الكاتب - أن " من يُمعِن التفكير في سيرة هذا الرجل صلى الله عليه وسلم يرَ نفسه منساقاً إلى الإقرار بأنّ ما حققه وقام به يكاد يكون من دنيا غير التي يعرفها البشر ".

ثم يقول: " هنا عظمة مُحمّد صلى الله عليه وسلم لقد استطاع خلال تلك الحقبة القصيرة من الزمن، أن يُحدِث ثورة خُلُقية وروحية واجتماعية، لم يستطعها أحد في التاريخ بمثل تلك السرعة المذهلة ".

ويشير إلى أنه " ليس بين الرسل واحد كمُحمّد صلى الله عليه وسلم عاش رسالته عمقاً وصعداً، بُعْد مدى، ذوب كيان، عصف بيان، عنف إيمان ".

وعن الفيض الإلهي الذي أتى به الرسول يقول الكاتب: " لكأني بمُحمّد صلى الله عليه وسلم آلى على نفسه أن يترك للمؤمنين ثروة روحية وأخلاقية، يُنفقون منها فلا تنضب ولا تشح؛ لأنها بحجم روحه، وهل لأحدٍ أن يتصور أن روح النبيّ تنضب أوْ تشح؟ ".

وعن أُميّة الرسول التي هي آية من آياته، يقول: " إنّ مُحمّداً صلى الله عليه وسلم كان أُمّياً لا يقرأ ولا يكتب، فإذا بهذا الأُميّ يهدي الإنسانية أبلغ أثر مكتوب حلمت به الإنسانية، منذ كانت الإنسانية، ذاك الكتاب الذي أنزله الله على رسوله ".

ويستطرد الكاتب في حديثه عن الوحي الذي نطق به الرسول: " ليس في القرآن كله ذِكْرٌ لمعجزة أوْ لأعجوبة صنعها النبيّ صلى الله عليه وسلم، فحسبه أن المعجزة الكبرى كانت بوساطته.. حسبه أن الله اختاره من دون البشر لينزل عليه تلك الثروة التي لم يروِ التاريخ أن ثروة بحجمها جاءت على لسان رجل واحد. حسبه أن يكون قد نثر تلك الثروة بحرفيتها على الناس، فأفادوا منها جميعهم. وستظل مدى الدهر ينبوعاً يردُه العِطاش إلى الحقيقة والجِياع إلى ملكوت الله ".

ويشير إلى أول ما نزل من الوحي في غار حراء، فيقول: " إن أُولى الآيات البيّنات كانت تلك الدعوة الرائعة إلى المعرفة، إلى العِلم عبر القراءة (اقرأ) وقول الله هذا لم يكن لمُحمّد صلى الله عليه وسلم فحسب، بلْ لجميع الناس، ليوضِّح منذ الخطوة الأولى، بلْ منذ الكلمة الأولى؛ أن الإسلام جاء يمحو الجهل، وينشر العلم والمعرفة ".

وتحدث " المؤلف " عن رسائل النبيّ إلى الملوك والقياصرة " ذلك العظيم الذي كان يحاول تغيير التاريخ، ويُعِدّ شعباً لفتح الدنيا من أجل الله.. ذلك الأُميّ

اليتيم الفقير الذي خاطب الأباطرة والملوك والأمراء من ندّ إلى ندّ، بلْ كمن له عليهم سلطان.. ذلك الملهم الذي كان همّه أن يعيد الصلة بين الأرض والسماء. ذلك الرجل وجد الوقت الكافي ليلقي على الناس دروساً في آداب المجتمع، وفي أصول المجالسة وكيفية إلقاء السلام! ".

وتبلغ الدهشة والإعجاب بالكاتب مبلغها، حينما يتأمل في قدرة الرسول على الجمع بين المهام العظمى سواءً كانت عامة أوْ خاصة والتي لا يقدر عليها فرد مهما كانت عزيمته، فيقول: " هذا الرجل الذي ما عرف الهدوء ولا الراحة ولا الاستقرار، استطاع وسط ذلك الخِضم الهائج، أن يرسي قواعد دولة، وأن يشرّع قوانين، ويسنّ أنظمة، ويجود بالتفاسير والاجتهادات، ولم ينسّ أنه أبٌ وجدٌّ لأولاد وأحفاد فلم يحرمهم عطفه وحنانه. فكان بشخصيّته الفذّة، الغنيّة بالقيم والمعطيات والمؤهّلات، المتعددة الأبعاد والجوانب، الفريدة بما أسبغ الله عليها من نعم وصفات، وبما حباها من إمكانات، كان بذلك كله عالماً قائماً بنفسه ".

ففي نظره أنه " لم يكن النبيّ صلى الله عليه وسلم رسولاً وحسب، يهدي الناس إلى الإيمان، إنما كان زعيماً وقائد شعب، فعزم على أن يجعل من ذلك الشعب خير أُمّة أُخرجت للناس. وكان له ما أراد ".

* * *

عبقرية مُحمّد صلى الله عليه وسلم

يعدّ المفكر القبطي الدكتور " نبيل لوقا بباوي " من أكثر الكُتّاب الذين تناولوا سيرة (نبيّ الإسلام) فقد ألّف أكثر من عشرة كتب في هذا الصدد، تناولت مختلف أبعاد السيرة النبوية، ونافح عن صاحب السيرة بقوة، وأعلن رفضه التام لإلصاق التهم الظالمة بالإسلام، خاصة تلك المتعلقة بوصفه بالعنف.. ولا عجب أن يكون هذا الفهم الواسع والدفاع المنطقي من الدكتور بباوي، فقد سبق أن حصل الرجل على ثلاث رسائل دكتوراه في الشريعة الإسلامية!

ففي كتابه (عبقرية مُحمَّد) يقول د. نبيل بباوي: استوقفني في السيرة النبوية عدة مواقف تؤكد أن (مُحمّداً) كان داعية سلام ومودة ومحبة في كل حياته وأفعاله، وهذه ثلاثة مواقف فقط أذكرها لتؤكد سماحة الرسول الكريم:

أولها: الأمان الذي أبرمه النبيّ مع يهود المدينة والذي ذكر فيه أن اليهود - وهم أصحاب ديانة مخالفة لما جاء به رسول الإسلام - متساوون مع المسلمين في المصلحة العامة، وأنهم كذلك لهم عهد ومودة وذمة الله، وأنهم آمِنون على حياتهم وأموالهم ويمارسون شعائرهم الدينية في حرية وأمان.. هذا العهد هل فيه أيّة دعوة للحرب أوْ الإرهاب؟ إن كل كلمة فيه تدعو إلى السلام رغم قدرته في هذا الوقت على طرد اليهود من المدينة.. ولكن مُحمّداً لم يفعل إلا بعد نقضهم لعهده وخيانتهم وتآمرهم مع الوثنيين ضد رسالته.

والموقف الثاني: ما تدلّ عليه القراءة الموضوعية للرسائل التي أرسلها (مُحمّد صلى الله عليه وسلم) للملوك في العالم، فالسمة العامة في جميع الرسائل هي الدعوة الحسنة إلى الدخول في الدين الذي جاء به دون وعيد أو تهديد، ثم هذا التواضع الشديد من النبيّ عند توقيعه للرسائل، فلم يكتب أنه مَلِك المسلمين أوْ عظيم الجزيرة العربية مثلاً، وإنما كان يوقع على الرسائل بعبارة (مُحمّد عبد الله ورسوله). ويكفي أن نعرض الرسالة التي أرسلها إلى "

المقوقس " حاكم مصر.. لنرى كمْ كان نبيّ الإسلام داعية سلام وتآلف بين البشر، ونتأكد من كذب ما يدّعيه الغرب على هذه الشخصية العظيمة، يقول: (من مُحمّد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهُدى، أمّا بعد فإني أدعوكَ بهداية الإسلام، أسلِمْ تسلمْ يؤتيك الله أجركَ مرتين، فإنْ توليتَ فإنّ عليكَ إثم القبط{قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ الله وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ الله فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}.

أمَّا ثالث المواقف: التي تدلّ على حب نبيّ الإسلام ودعوته إلى العفو، فهي ما حدث مع من أخطأ في حقه شخصياً، فقد عفا عن كل من " وحشي " مولى مطعم بن جبير والذي قتل عمه حمزة بن عبد المطلب، رغم تمكنه منه! ولكن الرجل اعتذر ودخل الإسلام. كما عفا - الرسول - أيضاً عن " هند بنت عتبة " التي لاكتْ كبد عمه حمزة في موقعة أُحد. وكذلك موقفه من " كعب بن زهير " الذي كان يهجوه في شِعره وحينما جاءه تائباً معتذراً أنشده قصيدة الاعتذار فلم يكتفِ نبيّ الإسلام بالعفو عنه، وإنما خلع عليه بُردته " !

هذا غيض من فيض، وقليل من كثير، وسطور من موسوعات لا حصر لها، سجّلها عقلاء المفكرين والمؤرخين النصارى العرب، بدافع الانتماء الفطري، وسلطان الحب والهوى الذي لا يُقاوَم، ولا قدرة لأحدٍ في صدّه أوْ منازلته!

ولا عجب في ذلك على الإطلاق!

فما من أحدٍ يبغي العُلا ومراتب الجمال، أوْ ينشد الفضيلة ومكارم الأخلاق، إلاّ وله في نبيّ الإسلام صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة، والمثل الأعلى... وقد أفصح عن ذلك الأديب والكاتب اللبناني الشهير (أمين نخلة) فيما كتبه تحت عنوان " هوىً بمُحمَّد وتمسكاً بقوميته، وكلفاً بلغته " جاء فيه:

" مُحمَّد، نغمة لا كلمة، لفرط ما مسحت على شفاه الخلائق، تأخذ بالسمع قبل الأخذ بالذهن، وليس على بسيط الأرض عربي لا ينتفخ لها صدره، ولا ترج

جوانب نفسه، فمن لم تأخذه بالإسلام، أخذته بالعروبة. وفي هوى مُحمّد تتلاقى مِلّتـا العـرب: مِلّـة القـرآن، ومِلّـة الإنجيـل، حتـى كـأن الإسـلام إسـلامان؛ واحـد بالديانـة، وواحد باللغة، أوْ كأنما العرب مسلمون جميعاً حين يكون الإسلام هوىً بمُحمّد، وتمسكاً بقوميته، وكلفاً بلغتـه. ومُحمّد لا تستطيع طائفة من العرب أن تنفـرد بالتبـاهي بـه، فهـو فضـلاً عـن كونـه للخلـق كلهـم حيث يتشـبّهون بـأكرم الآدميين فـي حفظ النفس، وحفظ الجـار، وحفظ الله، فبالأجدر أن يكون للعرب كلهم حين يتشبهون بأبلغنا في الفصحى، وأنهضنا فـي الجلـى.. لقد جمع مُحمّد إليه بفضل العربية في رسالته والعروبـة في شرعته، هذه القلوب العربيـة من كـل ديانـة، حتـى ليجـد المسيحي فـي دار الغربـة تحت مئذنـة الجـامع وهـو ابـن المسيحية، ما لا يجده تحت قبة الكنيسة (هناك في باريس).

يا مُحمّد، يميناً بديني، دين ابن مريم، إننا في هذا الحي من العرب (حي لبنـان) نتطلع إليك من شبابيك البيعة، فعقولنا في الإنجيل، وقلوبنا في القرآن " !

صدقت أيها الكاتب.. وصدق القائل:

مـا ضـرَّ شـمس الضـحى فـي الجـو مُشـرقةً ::: ألاَّ يـرى ضـوءها مَـنْ لـيس ذا بصـرٍ!

* * *

(الرسول الأعظم)
في شِعر النَّصارى العرب

(الشعـــراء) أرهـف النـــاس إحساســاً، وأكثــرهم وعيــاً، وأوســعهم ثقافــة، وأسـرعهم بديهــة، وأعمقهـم فهمـاً، وأبلغهـم قـولاً، وأدقهـم تعبيـراً، وأعظمهـم خطـراً، ولا تـزال أسـماء الأوائـل مـنهم أشــهر مـن أسـماء الأواخـر! ومازالـت قصـائدهم تُعدُّ سِجلاً للحـوادث التـي عاشـوها، كمـا أنهـا تمثـل دسـتوراً للعلاقـات الاجتماعية بين أبناء الأمة...!

هذا؛ وقد لعب الشعراء المسيحيون العرب دوراً بـارزاً فـي مسيرة الحيـاة الثقافية، لاسيما أن المسيحية العربية كانت مسالِمة، لا تحدوها مطامح سلطوية أوْ مطـامع سياسـية، لـذلك لـمْ تعش بصفتها أقليـة دينيـة متقوقعـة علـى الـنفس ومنغلقة على الذات، بلْ اندمجت مع المجتمع الإسلامي من حولهـا، واحتفظت المسيحية العربية بخواص تميزها عن كافة المسيحيين الآخرين في المجتمعات الأخرى، فكانت أقرب الفئات روحاً وثقافة إلى المسلمين، ولهـا صلات حضـارية تفوق مـا للفئـات المسيحية الأخـرى... فهيـأت الطريق في قلوب العرب لقبـول الدعوة الإسلامية حتى انتصرت على الوثنية.

هذا؛ وقد حفل العصر الحديث، بعدد وافر من الشعراء المسيحيين العرب، أمثـال: خليـل مطـران، وميخائيـل نعيمـة، وإيليـا أبـي ماضـي، والشـاعر القـروي، وصـالح بطـرس، وجبـران، ومـارون عبـود، وجميـل الخـوري، ونصـر ناصـيف، وجميـل لبيـب، ونقـولا حنـا، والأخطـل الصـغير، وجـورج صـيدح، وإليـاس قنصـل، ووصـفي قرنفلـي، وجـاك صـبري شـماس، ونصـر سـمعان، وميخائيـل ويـردي، وغيرهم من الذين حملوا علـى عـاتقهم رسـالة الأدب الجميل للدفاع عن مقدرات الأمة وهويتها، فنافحوا عن لغة القرآن، وعن أعلام الأمـة ورموزهـا ومقدسـاتها، كما رأينا منهم من تصدَّى بالرد على المتطاولين على الإسلام وحضارته، والـدفاع عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم.

أجل؛ لـمْ يتـرك الشـعراء النصـارى العـرب جانبـاً مـن جوانـب الإسـلام إلاَّ وتطرقـوا لـه فـي قصـائدهم، فتغنَّـوا بـالقرآن الكـريم، وأشـادوا بشـرائع الإسـلام وأركانـه، وقيمـه ومبادئـه وتعاليمـه، كمـا مـدحوا الرسـول الأعظـم، بـلْ لـم يتركـوا مشـهداً مـن مشـاهد السـيرة المطهـرة إلاَّ وتعرضـوا لـه، وكشـفوا عـن جوانـب العظمـة ومواضـع العبقريـة فيـه! سـواء مولـد الرسـول، أوْ هجرتـه، أوْ فتوحاتـه وغزواته، أوْ صفاته وأخلاقه، أوْ نسبه وحسبه، إلى غير ذلك مما جاء في معالم السيرة النبوية!

* * *

أسرار المدائح النبوية!

قبل الحديث عن شِعر المسيحيين العرب؛ الذي توجهوا به إلى حضرة الرسول الأعظم - يطيب لنا الحديث عن أسرار المدائح النبوية وعرائسها، وأشجارها الوارفة!

فقد صارت (المدائح النبوية) فناً أدبياً مستقلاً بذاته، بلْ صارت من أجلّ الأغراض الشعرية، فتسابق نحوها الشعراء في مختلف العصور، ونظموا فيها أروع ما جادتْ به قرائحهم. حتى قيل: من لمْ يبدِع في المدائح النبوية فقد فاته الشرف العظيم!.

ولا يمكن حصر (المدائح النبوية) بحال من الأحوال؛ نظراً لكثرتها، وتعدد بيئاتها، وتنوع لغاتها، واختلاف مذاهبها... وقد تحدثتُ عنها في كتاب (شعراء الأزهر) وذكرتُ مختلف ألوانها.

العجيب؛ أنَّ غالبية الشعراء الذين كتبوا في المدائح، أوْ ألَّفوا كتباً عن الرسول الأعظم؛ صاحبتهم رؤىً عظيمة في المنام! وأشهرها؛ رؤية (البوصيري) للنبيّ الأكرم، حيثُ لقَّنه جملة: على حبيبكَ خير الخَلْق كُلِّهم!

وكذلك؛ محمود سامي البارودي، صاحب قصيدة " كشف الغُمّة في مدح سيد الأُمَّة " التي نظمها وهو أسير في المنفى، إثر رؤيا ميمونة لرسول الله، أهداهُ فيها عصاه!

وقد أخبرنا الأديب الدكتور/ صابر عبد الدايم؛ أنه بمجرد كتابة قصيدته في رسول الله؛ تمَّ التعاقد معه للعمل بجامعة (أم القرى) ليحظى بشرف الجوار أكثر من خمس سنوات!

وقال لي الدكتور/ عبد الغفّار هلال: إنه " بمجرد أن فرغ من نظم قصيدة (نهج البردة)؛ هاتفه الدكتور/ عبد الصبور مرزوق، وأخبره أنه رآه في المنام مع رسول الله! وبالفعل.. لمْ تمضِ أيام قلائل حتى أدَّى (مناسك العُمْرة)!

وبعدما ألّفَ الشيخ/ سيد سليم - كتابه (أجمل عشرين قصيدة في حب آل البيت) رأى نفسه مدفوعاً لأداء العُمرة، من حيث لا يحتسب!

ولا أنسى أنْ أذكر في هذا المقام؛ أنني ألّفتُ كتاب (مُحمَّد مُشتهَى الأُمَم) بناءً على رؤية مباركة في المنام! وهناك كثير من الحكايات المعروفة في هذا الباب؛ التي تستحق أن يُخصَّص لها كتاب كامل!

** * **

لقد نشأت (المدائح النبوية) وترعرعتْ عند أهل التصوف على وجه الخصوص! وهي فن له غاياته النبيلة التي لا تتوافر في ألوان المدائح الأخرى، وهي تجمع مناحي عديدة في الدين والأدب والأخلاق.

هذا الفن يشتمل على ضروب شتى في القول والبلاغة، غفل عنها كثير من الباحثين في الأدب، مع أنه لا يقل عما دُرِسَ من الفنون الأدبية، بلْ ربما فاقها في بعض الأحيان، ومادحو الرسول الأعظم هم جمع غفير يمتد بهم الزمن منذ العهد النبوي الشريف؛ منذ أنشد " كعب بن زهير " قصيدته الشهيرة (بانتْ سُعاد) فألقى الرسول الكريم بُردتَه عليه!

وقد اهتم ببردة كعب بن زهير المتقدِّمون، وعدُّوها من أجلّ ما قيل في مدح الرسول، وعُنِيَ بها الشعراء فشطَّروها، وخمَّسوها، وعارضوها، وشرحوها. وممن شطَّرها: عبد القادر سعيد الرافعي، ومن الذين خمَّسوها: شعبان بن محمد بن داود المصري المتوفى سنة ٨٢٨هـ وله ثلاثة تخاميس عليها، وكذلك خمَّسها أحمد بن محمد الجرجاني.

وممن عارضها ابن نباتة المصري، وابن سيد الناس اليعمري، وسَمَّى معارضته " عدة المعاد في عروض بانت سعاد "، وأبو حيان الأندلسي، وسَمَّى معارضته " المورد العذب في قصيدة كعب "، والقاضي محيي الدين بن عبد الظاهر.

وممن شرحها: مسعود بن حسن بكري القنائي، وسَمَّى شرحه " الإسعاد لحل نظم بانت سعاد "، ومحمد صالح السباعي، وسمَّى شرحه " بلوغ المراد على بانت سعاد "، وأحمد بن محمد اليمني، وسمَّى شرحه " الجوهر الوقاد شرح بانت سعاد "، وابن هشام الأنصاري الأزهري، وعطاء الله بن أحمد، وقد شرحها مرتين، بعنوان: " حسن السيْر بقصيدة كعب بن زهير "، و " طريق الرشاد إلى تحقيق بانت سعاد "، وعليّ بن سلطان الهروي، وسمّى شرحه " فتح باب الإسعاد في شرح بانت سعاد "، ومحمد علي المرصفي، وسمّى شرحه " القول المراد من بانت سعاد "، وجمال الدين السيوطي، وسمَّى شرحه " كنه المراد في شرح بانت سعاد ".

وقد تُرجِمت على يد بعض المستشرقين، أمثال: رينيه باسييه إلى الفرنسية، وغيره.

لكن، هناك عدداً من (المدائح النبوية) نالت حظاً واسعاً من الشهرة، ربما لاشتمالها على كثير من أحداث السيرة النبوية، أوْ لشهرة أصحابها، أوْ لارتباطها بظروف ومواقف بعينها، أوْ لصدقها الفني، وجمالياتها البلاغية الفائقة.. مما جعل الناس يتناقلونها جيلاً بعد جيل، وترددها الألسنة صباح مساء.

* * *

تاج المدائح النبوية

قصيدة (البـردة) لكعب بـن زهير، ذات أثـر كبير فـي كثير مـن التجـارب فـي الشعـر العربـي قـديماً وحـديثاً، حتـى أطلق عليها النقـاد (تـاج المدائـح النبويـة) بالرغم من أن الشاعر لـمْ يمدح الرسول فيها إلاَّ بأبيات قليلة!

وهنـاك عدد هائل من الشعراء الذين عارضوا (قصيدة كعب) منـهم " الأخطل التغلبـي " الـذي عـارض لاميَّـة كعب، بقصيدة مـن البحـر نفسـه، ولكنـها تختلـف قافية، يقول في مطلعها:

بانــت ســعادُ ففــي العينــيْنِ تســهيدُ ::: واســتحقبتْ لُبَّــهُ، فالقلــبُ معمــودُ!

لكـن؛ فيمـا يبـدو أن " الأخطـل " قـد أدرك اخـتلال الإطـار المُوسيقِي الـذي يجمع بين قصيدته، وبين قصيدة كعب، فأصلح مـن أمـر معارضته فـي قصيدة أخرى، جعلها تلتقي مع قصيدة كعب لفظاً وأسلوباً، ووزناً وقافية، قال فيها:

بانــتْ ســعادُ ففــي العينــيْنِ ملمــولُ ::: من حُبِّهـا، وصحيحُ الجسمِ مخبـولُ!

ولعلَّ من أواخر الذين عارضوا (قصيدة كعب) الدكتور/ صابر عبد الدايم، والدكتور/ عبد الغفار هلال. والملاحظ أن الكثير مـن هذه المعارضات تتفق مع قصـيدة كعـب فـي الـوزن والقافيـة، والـبعض قـد يختلـف معهـا فـي الغـرض! فالمعارضة إذنْ ليست كاملة، ولكن جزئية.

ولبُردة كعب أكثر من أربعين شرحاً... ونظراً لأهميتها الفنية والمعنوية، فقد خلَّفت آثاراً علمية وجمالية فيما بعدها من القصائد التـي عارضتها، لأنها أُلقيتْ بين يدي الرسول الأكرم، وكانت تجربة صادقة خاضها كعب وهو معلَّق بين أمل الحيـاة وهـوّة المـوت، وجـاء عفـو الرسـول تتويجـاً لعزيمتـه الصـادقة وتوبتـه النصوح. وقد فسّر البعض إعطاء الرسول بردتـه لكعب على أنـه إسباغ حمايةٍ للشاعر حتى لا يتعرض له أحد.

وفي هذا يقول " زكي مبارك " في كتاب (المدائح النبوية): " ولولا ما في ألفاظها من الوعورة لشاعت في البيئات الصوفية، وأصبحت من جملة الأوراد! وقد توارث المسلمون احترام قصيدة كعب حتى قال أبو جعفر الألبيري: حدثني بعض أشياخنا بالإسكندرية بإسناده أن بعض العلماء كان لا يستفتح مجلسه إلاَّ بقصيدة كعب، فلما سُئِلَ عن ذلك، قال: رأيتُ رسول الله فقلتُ يا رسول الله: قصيدة كعب أنشِدها بين يديك؟ فقال نعم، وأنا أُحبها وأحبُّ من أحبها. قال: فعاهدتُ اللهَ أن أقرأها كل يوم. قال أبو جعفر: ولمْ تزل الشعراء منذ ذلك الوقت إلى الآن ينسجون على منوالها، ويقتدون بأقوالها تبرّكاً بمن أُنشِدتْ بين يديه، ونُسِبَ مدحها إليه.

***

عروس المدائح النبوية

إذا كانت بُردَة كعب سُمِّيتْ (تاج المدائح)؛ فإنَّ بُردَة البوصيري، هي (عروس المدائح)! مع أن هناك فروقاً واضحة بين البُردتيْن، منها: أن المسافة الزمنية بينهما تزيد عن ستة قرون، وطبيعة الجو النفسي، وعوامل البيئة التي ألقت بظلالها على مفردات وتراكيب القاموس الشعري بين البُردتيْن، واختلاف القافية وعدد الأبيات بين القصيدتيْن، وتباين الظروف التي دعت كلاً منهما لإبداع قصيدته!

وقد نالت (بردة البوصيري) شهرة واسعة لمْ تنلها سواها من المدائح، حتى أصبح الناس يتبركون بها ويستشفون، ويُنشِدونها في مختلف المناسبات. وقد تصدَّى لشرحها كبار علماء الإسلام والنقاد والأدباء في سائر العصور. ويُحْكَى أن البوصيري لمَّا كتبها رأى رسول الله في المنام، فطرح عليه بردته، ولهذا سُمِّيت بالبردة. والتي مطلعها:

أمِنْ تذَكُّرِ جيرانٍ بذي سَلَمِ ::: مزجْتَ دمعاً جرى من مُقلةٍ بدمِ

واختتمها بقوله:

وائْذَنْ لِسُحْبِ صلاةٍ منكَ دائمةٍ ::: على النبيِّ بِمُنْهَلٍّ ومُنْسَجِم

* * *

فحول المدائح

غالبية الشعراء الذين كتبوا في المدائح عارضوا بُردة البوصيري، وعلى رأسهم: محمود سامي البارودي، في قصيدته " كشف الغُمَّة في مدح سيد الأُمة " التي نظمها وهو أسير في المنفى، إثر رؤيا ميمونة لرسول الله، أهداهُ فيها عصاه، وقد دعا اللهَ في مقدمتها قائلاً: أرجو أن تكون لي ذريعة أتوسّل بها يوم المعاد، وسُلّماً إلى النجاة من هول المحشر ".

وقد نحا " البارودي " في بُردته إلى القصّ في سرد الأحداث لاستلهام السيرة النبوية، فكل مجموعة من شِعره جاءت أشبه بقصة ذات حدث يتطور إلى حل، وربطها بشخصية أوْ شخصيات ثانوية في القصة.. وكأنَّ الشاعر أراد بعمله هذا إيجاد شعر غنائي بطولي مدحاً لنبيّ الإسلام وسيرته العطرة.. فعبَّر تعبيراً صادقاً عن خلجات نفسه وإيمانه بمنزلة إمام الأنبياء والمرسلين... واستهلها بقوله:

يا رائد البرقِ يَمِّم (دارة العلَمِ) ::: واحْدُ الغمامَ إلى حَيٍّ ب(ذي سَلَمِ)

واختتمها بقوله:

وصلِّ ربِّ على المختارِ ما طلعتْ ::: شمسُ النهارِ ولاحتْ أنجُمُ الظَّلَمِ

* * *

زهرة المدائح

لكن تظل أشهر معارضة لبُردَة البوصيري هي قصيدة أمير الشعراء/ أحمد شوقي (نهج البردة) التي حظيت بمعارضات شعرية كثيرة! فلمْ يسلك فيها شوقي مسلك البارودي في بُردته، وإنما عمد إلى استلهام الجوانب الإنسانية والعاطفية في حياة الرسول كالأبوة والعطف والحنان والعفو والرحمة، وما إلى ذلك. وقد عاش (شوقي) عمره متفائلاً ومستبشِراً بهذه القصيدة بالذات؛ لدرجة أنه أوصى بكتابة بعض أبياتها على قبره! وقد استهلها بقوله:

رِيمٌ على القاعِ بين البانِ والعَلَمِ ::: أحلَّ سفكَ دمي في الأشهرِ الحُرُمِ

واختتمها بقوله:

يارِبِّ أحسنتَ بَدْءَ المسلمينَ بهِ ::: فتمِّم الفضلَ وامنحْ حُسْنَ مُخْتَتِمِ

* * *

شجرة المدائح

صارت المدائح فناً شعرياً قائماً بذاته، وقلَّما نجا شاعر من هوى المدائح، بلْ هناك من أخلص لهذا الفن أيما إخلاص حتى صار من أعلامه، بدءاً من شعراء الرسول الأكرم (حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك) ثم امتدتْ أغصان هذه الشجرة وانتشرت عبر العصور، فرأينا منهم: الكُميْت بن زيد الأسدي، والفرزدق، والأخطل التغلبي، ودِعْبل الخُزاعي، والإمام أبو حنيفة النعمان، والإمام الشافعي، وأبو فِراس الحمداني، والشريف الرضي، وابن حجر الهيتمي، وابن الفارض، وجلال الدين السيوطي، وعبد الرحيم البرعي، والشهاب القيرواني، وسيدي أحمد الدردير، وسيدي محمد البكري، وعبد الرحمن الصفوري، والإمام يوسف النبهاني، والشيخ عبد الله الشبراوي، وعبد الرحمن الأجهوري، وسيدي أحمد الحلواني، والشيخ النابلسي، وفيلسوف الإسلام محمد إقبال، ومحمد عبد المطلب، وأحمد مُحرم، والشيخ علي عقل، والشيخ صالح الجعفري، والإمام محمد ماضي أبو العزائم، ومحمود جبر، والصاوي شعلان، والشيخ عبد الرحمن الصومالي، والحاج أحمد أبو الحسن، والشيخ عبد الفتاح شلبي، وخالد الجرنوسي، وصلاح الدين القُوصِي، ومحمد التهامي، وأحمد عمر هاشم، وصابر عبد الدايم، والدكتور/ محمد إبراهيم العشماوي، والشاعر/ سيد سليم، وغيرهم.

* * *

المعارضات الشعرية

(المعارضات الشعرية) هي أحد الفنون الأدبية، وهي نوع من المباريات الشعرية التي تجري بين الشعراء، وهي تختلف عن التقليد؛ فهي نوع من إثبات الذات والقدرة على الإبداع في ظل قيود معينة، وتبدأ بأن ينظم شاعر ما قصيدة، فيأتي شاعر آخر، إمَّا للإبداع داخل هذا القالب لأنه أعجبه، وإمَّا لنقض معاني هذه القصيدة وأفكارها؛ لأنه يتبنى وجهة نظر أخرى مضادة، لكنه إمعانًا في التحدِّي يلزم نفسه أن يبدع في نفس القالب الشِّعري الذي التزمه الشاعر الأول، فيلتزم نفس الوزن والبحر والقافية. وكثيراً ما نجد في (المعارضات الشعرية) تأثراً بالمفردات والمعاني والصور الفنيّة في القصيدة الأولى، وهذه الظاهرة لها دوافع مختلفة، فربما كانت من باب الإعجاب والرغبة في اقتفاء النص والسيْر على نهجه، والإفادة من شهرة القصيدة القديمة، وربما رغبة من الشاعر أن يلفت الأنظار إلى قصيدته أوْ حتى يتجاوز النصّ الأصلي ويفوقه إبداعاً وإجادة.

وقد حفل الشعر العربي بكثير من المعارضات قديماً وحديثاً.. ولوْ قصرنا اهتمامنا على العصر الحديث سنرى معارضات ذائعة الصيت لأعلام الشعر العربي الحديث، أمثال: محمود سامي البارودي. كما يعد (أحمد شوقي) أشهر من نظم في المعارضات في العصر الحديث، فقد عارض " سينيّة " البحتري، و " نونية " ابن زيدون، وقصيدة المتنبي في رثاء جدته، وغزليّة الحصري القيرواني، وبُردة البوصيري.

ولمْ تقتصر المعارضات على الشِّعر فقط؛ فقد تعدته إلى النثر، فشملت الرسائل والمقامات، كتلك التي ظهرت بين الخوارزمي، وبديع الزمان الهمذاني في مجال الرسائل، كما عارض ابن شرف الأندلسي بديع الزمان الهمذاني في مقاماته، فعمل مقامة في ذكر الشعر والشعراء.

لذا؛ يعدّ هذا الفن إحياء للفن العربي ولتراث الشعراء والأدباء السابقين في كل

زمان ومكان، حيث تنشط فيه الحركة الأدبية الشعرية ويربط ماضي الشعر بحاضره.

وقد انتقل (فن المعارضات) إلى الآداب الأخرى، خاصة الإنجليزية والفرنسية. ويقابل كلمة " المعارضة " باللغة الفرنسية لفظة " pastiche **" وهم يعرفونها في معاجمهم كالتالي:** imitation ou évocation du style de la maniére d'un écrivain , d'un artiste, d'une école **أي التقليد أو النسج على منوال سابق أوْ استعادة لأسلوب أوْ طريقة كاتب أوْ فنان أوْ مدرسة، ويطلقون كلمة "** pasticheur **" على الاسم الفاعل من الاسم المذكر "** un pastiche **" أيْ على الشخص الذي يقوم بعملية المحاكاة أوْ التقليد في هذا المجال، ويقولون:** Il s 'amuse à pasticher Hugo **أيْ فلان يتسلَّى بمحاكاة أسلوب أوْ طريقة فكتور هيجو.**

* * *

أول معارضة لشاعر مسيحي!

من المعارضات الشعرية لقصيدة شوقي (نهج البردة) تلك المعارضة الاستثنائية؛ التي جادتْ بها قريحة الشاعر المسيحي السوري " ميخائيل خير الله ويردي " بعنوان (أنوار هادي الورى) وعدد أبياتها (١٢٤) بيتاً من البحر البسيط. والتي سنعرضها كاملة في ختام هذا الكتاب... وقد استهلَّها - الشاعر - بقوله:

أنوارُ هادي الورى في كعبةِ الحرمِ ::: فاضتْ على ذِكرِ جيرانٍ بذي سَلَمِ!

وأرسلتْ نَغَمَ التوحيدِ عن مَلَكٍ ::: كالروحِ مُنطلقٍ كالزهرِ مُبتسمِ

واختتمها، بقوله:

صلّى الإلهُ على محْياكَ في مُهَجٍ ::: تحيا بها كحياة النورِ في السُّدُمِ

صلى الإلهُ على مثواكَ ما صدحتْ ::: ورقاءُ أوْ هينمتْ عطريّةُ النَّسَمِ

صلَّى الإلهُ على ذِكْراكَ مُمتدِحاً ::: حتى تؤمَّ صلاةَ البعثِ بالأُمَمِ!

من أسف؛ أن هذه القصيدة، على الرغم من جمالياتها الفائقة، وغرضها الجليل؛ إلاَّ أنها لمْ تنلْ حظاً من الشهرة والذيوع بين دارسي المدائح النبوية وشداة الأدب!

لكن؛ يظل الشّاعر " ميخائيل ويردي " أول مسيحي ينظم قصيدةً في (نهج البُردة) على الإطلاق! وقد فتح الباب على مصراعيه أمام شعراء مسيحيين آخرين، ليحذوا حذوه، ويسلكوا مسلكه، ويسيروا على دربه وخطاه!

ولِمَ لا؟ ألمْ تفتح قصيدة حافظ إبراهيم (العُمَرية) الباب واسعاً أمام الشعراء لينظموا على منوالها في مدح الخلفاء الراشدين وأصحاب النبيّ المكرمين؟

فقد أبدع عبد الحليم المصري (البكْرية) ونظم عثمان جلال (العثمانية) وأبدع محمد عبد المطلب (العلوية) وأبدع عمر أبو ريشة (الخالديّة) وكتب أحمد محرم (الإلياذة الإسلامية) وغيرهم.

عباقرة الشعراء النصارى!

هناك عباقرة ورواد؛ في كل أمةٍ من الأمم، وفي كل حضارةٍ من الحضارات، وفي كل بلدٍ من البلدان، وفي كل جيلٍ من الأجيال! ومن هنا؛ سنعرض باقات من الشِّعر الجميل الذي تغنَّى به عباقرة الشعراء النصارى المحدثين؛ مما يؤكد أن عروبة هؤلاء وانتماءهم لسيّد العرب والعجم مُحمَّد صلى الله عليه وسلم كان انتماء مفاخرة ونسب وحنين منقطع النظير!

فمن هؤلاء الشعراء من اعتبر (مُحمَّدًا صلى الله عليه وسلم) والده، وأستاذه، وقدوته. ومنهم من طالب العرب بضرورة الاقتداء بسيرته واتباع منهجه، ومنهم من خصص ديواناً كاملاً للدفاع عنه وعن دعوته، ومنهم من نافح عن صحابة الرسول وآله المكرمين... فهذا الشاعر القبطي/ بطرس إبراهيم - يبدي إعجابه برسالة الإسلام الحنيف، في قصيدته (ميلاد نبيّ) فيقول:

دِينٌ لأحمدَ قد تعاظمَ شأنه ::: بين الأنامِ برفعة الأنسابِ
دِينٌ سماويٌّ تجلَّى نوره ::: فتوارتْ الظلماتُ خلف حجابِ
ذاك المؤيِّدُ للمسيحِ وقولهِ ::: بقرينةٍ وأدلةٍ وكتابِ!

وهذا الشَّاعر/ نقولا حنا - يمدح نبيّ الإسلام قائلاً:

محمدُ خيرُ الخلق من آل هاشمٍ ::: نبيٌّ كريمٌ والجدود كرام
تقيٌّ نقيٌّ زاهدٌ متهجِّدٌ ::: عزيزٌ أبيٌّ ليس فيه مَلام
شجاعٌ كريمٌ لا يُخيِّبُ سائلاً ::: ولا عن غياث المستجير ينام
قديرٌ حليمٌ سيِّدٌ متواضعٌ ::: حكيمٌ بتصريف الأمورِ هُمام
عفيفٌ يفَيض الطّهرُ من نور وجههِ ::: حبيبٌ مَهيبٌ منذ كان فِطام
فضائلُه حين استبانت لقومه ::: دعَوه أمينًا وهو بعدُ غُلام
سجاياه أعيا وصفُها كلَّ حاذقٍ ::: فقصَّرَ مَدّاحٌ وضاق كلام!

وهذا الشَّاعر/ إليـاس فاعـور - يتوجه إلى الرسول الأكرم بالثناء، فيقول:

أمحمـــدٌ ولأنـــتَ أرفـــعُ رتبـــةً ::: مـن كـلِّ سـامٍ فـي الـورى ومـوقَّر

إنِّـي لأعجـزُ عـنِ مـديحك عالمًـا ::: أنِّـــي أعـــودُ بصـــفقة المتحيِّـــر

أنـتَ النبـيُّ الفـذُّ ذو التبيـان مـن ::: قـد مـاط شـرعتَه بحـدّ الأبتـر

فرقانُه كالشمس تسطع في الضحى ::: وحديثُـــه كضـــياء بـــدرٍ مُقْمـــر

لـوْ شـئتُ نظـمَ فرائـدٍ مـن نثـره ::: أعيـتْ وضـاق بهـا مِـدادُ الأبحُـر

صـلَّى عليـه الله مـا شـقَّ الـدجى ::: بـدرٌ وعـاد قُلامـةً مـن خِنصَـر!

كذلك؛ الشاعر/ يوسف حنـا العيد - يقول في قصيدته (يا نبـيّ الله):

للهِ أشـــهدُ يـــا نبـــيَّ الله أنَّ ::: اللهَ أعطـــاكَ النبـــوَّة للهـــدى

يـــا فلتـــةَ الأدهـــارِ أنـــتَ نبيُّهـــا ::: أُرسـلتَ مـن لَـدْنِ المكـوِّن مُنجـدا

يـا سـيِّد الأسـياد والـدين الـذي ::: ردَّ الضـليلَ عـن الضـلالة فاهتـدى

وأقـام دينًـا بالتسـامح شـاملاً ::: وإلـى الطّغـاة أقامـهُ متوعِّـدا

لـولاك مـا قـام المـؤذن صـادحًا ::: اللهُ أكبـــر ســـبِّحوه أوحـــدا

هـــذي نبوّتـــك التـــي الله اصـــطفا ::: كَ لهـــا نبيّـــاً للخليقـــةِ مُرشـــدا

ومـن الشـعراء الـذين مـدحوا صحابة النبـيّ، وأكبـروا جهـادهم ونصـرتهم للحق، الشاعر الكبير (جميل لبيب الخوري) إذْ يقول:

حمـل الرسـولُ العـبءَ أول بعثِـهِ ::: ثـم اسـتوى مـن حولـه الأبـرار

هـم قلَّـةٌ إنْ جئـتَ تحصـي عـدَّهم ::: لكـــنهم فـــي المكرمـــات كِثـــار

نَفَـخَ ابـنُ عبـد الله فـيهم روحَـه ::: فـإذا بهـم فـوق الزمـان كبـار!

وإذا بهـم خيـرُ الـولاة عدالـةً ::: وإذا قياصـرةُ الزمـان صـغار!

خضـعتْ لهـم قسـراً جبـابرة الـورى ::: وَبَنَـوْهُ حكمًـا مـا عليـه غبـار

ضـرب الرسـول لهـم مثـالاً طيبـاً ::: فترسَّـموا دومـاً خطـاه وسـاروا

كذلك؛ الشاعر/ جاك شماس - يمدح أصحاب الرسول الكرام.. قائلاً:

إنّـي مسـيحيٌّ أُجِـلُّ مُحمّـداً ::: وأُجِـلُّ ضـاداً مهـدها الإسـلامُ

وأُجِـلُّ أصـحاب الرسـول وأهلـه ::: حيـث الصـحابة موقـف وإمـام

وهذا الشاعر/ مارون عبود - يشهد على عظمة القرآن الكريم المُعجِز! الذي صاغ أُمَّة الإسلام التي نشرت رسالة الهدى والنور... فيقول:

لولا كتابكَ ما رأينا مُعجِزاً ::: في أُمَّةٍ مرصوصةِ البنيان
حملتْ إلى الأقطار من صحرائها ::: قبس الهدى ومطارف العمران
هادٍ يصوِّر لي كأنَّ قوامه ::: مُتجسِّدٌ من عنصرِ الإيمان

كذلك، الشاعر اللبناني حليم دمُّوس (١٨٨٨ - ١٩٥٧م) الذي نظم الشِّعر وهو في العاشرة من عمره، ومن أعماله الإبداعية: " ديوانُ حليم "، ومجموعة شعرية بديعة مصورة بعنوان " المثالثُ والمثاني "، ومجموعة شِعرية باسم " صدى الجنان ". كما نظم ملحمة كبيرة ضمّنها بطولات العرب ومآثرهم وفتوحاتهم. وله مؤلفات أخرى مثل: " قاموس الأعلام " وغيرها. لكن يظل ديوان (يقظة الروح) أهم دواوينه قاطبةً؛ فقد كتب قصائده متضمنة جميع سور القرآن الكريم، يستحيل على غيره أن يؤدي هذا الأداء الرائع البديع! ولا عجب في ذلك، فقد كان حليم دموس من علماء اللغة العربية، وعاشقاً لها، وطالما تغنَّى بها، كما في قوله:

لوْ لمْ تكن أُم اللغاتِ هي المُنَى ::: لكسرتُ أقلامي وعِفْتُ مدادي
لغةٌ إذا وقعتْ على أسماعنا ::: كانت لنا برداً على الأكبادِ
ستظل رابطة تؤلف بيننا ::: فهي الرجاءُ لناطقٍ بالضادِ
وإذا أراد الله يقظة أمةٍ ::: أوحى لها يقظة الأفرادّ
وتقارب الأرواح ليس يضيرهُ ::: بين الديار تباعد الأجسادِ
أفما رأيت الشمسَ وهي بعيدةٌ ::: تهدي الشعاعَ لأنجُدٍ ووَهادِ
أنا كيف سِرْتُ أرى الأنامَ أحبتي ::: والقوم قومي والبلاد بلادي
بردى كدجلة، والفرات محبة ::: والنيل كالأردن طيٌّ فؤادي
وأرى الرصافة في العراق وكرخها ::: كالصالحية مرقد العُبَّادِ
والغوطتيْنِ وكرْمَ وادي زحلةٍ ::: كنخيل مصر في ظلال الوادي
وحفيف هذا الأَرْزِ في لبنانه ::: كحفيفِ ذاك النخل في بغدادِ

وله قصيدة أخرى عن لغة الضاد بعنوان (لا تلمني في هواها) قال فيها:

لا تلمنـــــي فـــــي هواهـــــا ::: أنـــــا لا أهـــــوى ســـــواها
لســـــتُ وحـــــدي أفتـــــديها ::: كلنـــــا اليـــــوم فـــــداها
نزلـــــت فـــــي كـــــل نفـــــسٍ ::: وتمشـــــت فـــــي دماهـــــا
فبِهـــــا الأم تغنّـــــتْ ::: وبهـــــا الوالـــــد فاهـــــا
وبهـــــا الفـــــن تجلّـــــى ::: وبهـــــا العلـــــم تبـــــاهى
كلمـــــا مـــــرّ زمـــــان ::: زادهـــــا مـــــدحاً وجاهـــــا
لغـــــة الأجـــــداد هـــــذي ::: رفـــــع الله لواهـــــا
فأعيـــــدوا يـــــا بنيهـــــا ::: نهضـــــة تحيـــــي رجاهـــــا
لـــــمْ يمـــــت شـــــعب تفـــــانى ::: فـــــي هواهـــــا واصـــــطفاها

ومن قصائد " حليم دموس " المشهورة، قصيدة (جهاد النبيّ) منها قوله:

صـراعٌ رمـى جـيش الضـلالةِ بالهـدى ::: كمـا يتهـاوى جلمـدٌ فـوق جلمـدٍ
فبـاليتيم وهـو كالشـمس فـي الضـحى ::: وكالشـــمس فـــي إيمانـــه المتوقِّـــدِ
تحمَّـــلَ مـــن دنيـــاه أعبـــاءَ أُمـــةٍ ::: بهمـــة جبَّـــارٍ وجفـــن مســـهدِ
سأنشـرها فـي الحـافظين ملاحمـاً ::: علـى نسـج حسـانٍ ونغمـة معبـد!

ويتوجه بشعره - مرةً أخرى - مادحاً الرسول الأميّ صلى الله عليه وسلم قائلاً:

أمُحمّـــدٌ والمجـــد بعـــض صـــفاتهِ ::: مَجَّـــدتَ فـــي تعليمـــكَ الأديانـــا
بُعِـثَ الجهـادُ لـدن بُعِثـتَ وجُـرِّدتْ ::: أســـيافُ صـــحبك تفـــتح البلـــدانا
ورفعـــتَ ذِكْـــرَ الله فـــي أُميّـــةٍ ::: وثنيـــةٍ ونفحتهـــا الإيمانـــا
مرحـــى لأُمـــيٍّ يُعلِّـــم سِـــفْرهُ ::: نُبغـــاءَ يعـــرُب حِكمـــةً وبيانـــا
إنِّـــي مســـيحيٌّ أُحـــبُّ مُحمَّـــداً ::: وأراهُ فـــي فلـــك العُـــلا عنوانـــا

وفي قصيدة طويلة رائعة، يقول الشاعر حليم دمُّوس:

تغنّـيّ عـروسَ الشِّـعر باسـم مُحمّـد ::: وهـزي بنـي الـدنيا بسـيرة أحمـدِ
لعمـــركَ مـــا الأديـــانُ إلاَّ نوافـــذٌ ::: تـــرى الله منهـــا مقلـــةُ المتعبّـــد

فألمحُ في القرآن عيسى ابن مريم ::: وأشــهدُ فــي الإنجيــل روح مُحّمــد

وبالرغم من أن الدكتور (شبلي شميل) لـمْ يكن من أهل الأدب والشعر، إنما كـان باحثاً وطبيباً ينحو منحى الفلاسفة في آرائهم، وهو صاحب " فلسفة النشوء والارتقاء "؛ ومع ذلك أبدع قصيدة رائعة، أعرب فيها عن عظمة النبيّ الأُمي، وما حباه الله به من نعمة الفصاحة والبيان، التي تمثلت في القرآن الكريم، من روائع وعظات وأحكام، فيقول:

اســمع (مُحمّــد) فــي سُــدى قرآنــهٍ ::: مــا قــد نحــاهُ للحمــة الغايــاتِ

أو ما حوتْ في ناصع الألفاظِ من ::: حِكَــمٍ روادِعَ للهــوى وعظــاتِ

وشــرائعٍ لــوْ أنهــم عقلــوا بهــا ::: مــا قيــدوا العمــرانَ بالعــاداتِ

نِعــمَ المــدير والحكــيم وإنّــه ::: ربُّ الفصــاحةِ مصــطفى الكلمــاتِ

رجل الحِجا رجلُ السياسةِ والدّها ::: بطــلٌ حليــفُ النصــرِ فــي الغــاراتِ

ببلاغــة القــرآن قــد خلَــب النُّهَــى ::: وبســيفهِ أنحــى علــى الهامــاتِ

مِنْ دونـهِ الأبطـال فـي كـل الـورى ::: مــن ســابقٍ أوْ لاحــقٍ أوْ آتــي

وقد مدح الشاعر القبطي/ بطرس إبراهيم - نبيَّ الإسلام في قصيدته (ميلاد نبـيّ) فقال:

دِيــنٌ لأحمــدَ قــد تعــاظمَ شــأنه ::: بــين الأنــامِ برفعــة الأنســابِ

دِيــنٌ ســماويٌّ تجلَّــى نــوره ::: فتــوارتْ الظلمــاتُ خلـف حجـابِ

ذاك المؤيِّــدُ للمســيحِ وقولــهِ ::: بقرينــةٍ وأدلــةٍ وكتــابِ!

وهناك الشاعر/ ميشال المغربي (١٩١٠ - ١٩٣٨م) المولود بالإسكندرية من أبويْن سوريَّيْن. كتب الشّعر مبكراً، وتنقل بين البلدان. وكان ناقداً لاذعاً، ومتمرداً على العادات والتقاليد. وكانت الجالية المسلمة بالبرازيل تدعوه كل عام؛ ليلقي أشعاره في المناسبات الإسلامية، ومن أروع قصائده (الرسول العربيّ) التي استهلها بقوله:

اللهُ قــدَّرَ لــي دينــاً أقلِّــده عِقــداً ::: أبــي كـــان مـــن قبلـــي يُقلِّـــده!
وإنَّ جـــاري لـــه عِقـــدٌ يماثلـــه ::: يضـــيءُ ياقوتـــه الغـــالي وعســـجده
صـنو المسـيحية الإسـلام فـي نظـري ::: كلاهمـــا موجـــد الأديـــان موجـــده
فكيــف أوليــهِ ظهــري حــين أبصــره ::: أخ لـــه دربـــه مثلـــي ومَصْـــعَدَه
هيهـــات، لكننـــي أدنـــو وأســـعفه ::: علـــى الصـــعود وأرعـــاه وأرشـــده
خصــومه لــي خصــوم، كيــف أخذلــه ::: وكيــف أغمــدُ ســيفاً لــيس يغمــده؟
إنِّـــي أُدُيـــر لـــه خـــدي ليلطمـــه ::: إنْ كـان فـي لطمـه مـا قـد يمجِّـده!
زرعتُ بالحبِّ أرضـي وهـي مخصـبة ::: والحـــب مـــا أثمـــرت فلتجنِـــه يـــده
الحــب مــا كــان إلاَّ الحــب يســكبه ::: ولـــيس إلاَّه مـــن طيـــرٍ يغـــرِّده
فيـــا ابـــن أُمِّـــي ذَرِ التفريـــق ناحيـــة ::: فسـابق العهـد كـاد الجهـل يفسـده!
وذلــك الحقــد كــان الغــرب يزرعــه ::: وإنـــه وحـــده مـــن كـــان يحصـــده
أخــوك يعنيــك أيُّ الطــرق ينهجهــا ::: ولـــيس يعنيـــك أيُّ الـــنجم يرصـــده
مـــاذا يضـــيرك مـــا كانـــت عقيدتـــه ::: مـــازال يعبـــدُ ربـــاً أنـــت تعبـــده
وكـــان ينطـــق ضـــاداً أنـــت تنطقهـــا ::: ومـــا تـــردَّدَ مـــن شِـــعرٍ يـــردِّده!

ومـن الروائـع الشـعرية التـي ضـمها ديـوان " أمـواج وصـخور " للشـاعر/ ميشـال المغربـي - قصـيدته التـي أنشـدها فـي أخريـات حياتـه، بعنـوان (نـور المسلمين مُحمَّد) قال فيها:

لبيْـــكَ (نـــور المســـلمين) وإنَّنـــي ::: لعليْـــكَ قبـــل المســـلمين أُســـلِّمُ
يـــا ســـائلي أيّ المـــذاهب مـــذهبي؟ ::: إنِّـــي مســـيحيٌّ وإنِّـــي مســـلمُ!
يـــرث الفتـــى عـــن والديْـــهِ مـــذهباً ::: أبـــداً بـــه يرضـــى ولا يتبـــرمُ
فالخـــالِقُ الـــديَّانُ جـــلَّ جلالـــه ::: مـــا قـــال أيُّ دروبـــه هـــو أقـــومُ
كـــلٌّ صـــراطٌ مســـتقيمٌ للفتـــى ::: مـــازال غيـــر الحـــقِّ لا يترسَّـــمُ
مـــا الخـــالق الـــديانُ إلاَّ قنـــةٌ ::: مـــا حولهـــا كـــل المـــذاهبِ ســـلَّمُ
صَـعِّد أخـي، أحبـب أخـاك مصـعداً ::: فلقاكمـــا عنـــد الوصـــول مُحـــتَّم
أحببـــــــهُ وارعَ ذمامـــــــهُ إلاَّ إذا ::: مـــا كـــان فـــي ديـــن العروبـــة يـــأثمُ!

ومن أشهر شعراء المهجر الجنوبي؛ (رشيد سليم الخوري) الذي اشتهر بلقب " الشاعر القروي " وقد كان جريئاً في طرح أفكاره، وكان من أشد دعاة الوحدة العربية، وله في هذا الباب قصائد كثيرة، من ذلك القصيدة التي ألقاها أثناء حفل عيد الفطر الذي أقامته الجمعية الخيرية الإسلامية في إستانبول عام ١٩٣٣م، قال فيها:

هبونيَ عيداً يجعل العُربَ أُمةً ::: وسيروا بجثماني على دين بَرهمِ!

فقد مزقتْ هذي المذاهب شملنا ::: وقد حطمتنا بين نابٍ ومنسمِ

وفي قصيدة أخرى بعنوان (الناخلة) يقول:

مَنْ يُنبئُ الملأَ الذين أُحبُّهم ::: فيكافئون الحب بالعدوان!

إنِّي على دين العروبةِ واقفٌ ::: قلبي على سُبُحاتها ولساني

إنجيليَ الحبُّ المقيم لأهلها ::: والذودُ عن حُرماتها فرقاني

أرضيتُ أحمدَ والمسيحَ بثورتي ::: وحماستي، وتسامحي وحناني

يا مسلمون ويا نصارى دينكم ::: دين العروبة واحدٌ لا اثنان

بيروتكم كدمشقكم، ودمشقكم ::: كرياضكم، ورياضكم كعُمانِ

ستجدّدونَ المُلكَ من يمنٍ إلى ::: مصرٍ إلى شامٍ إلى بغدانِ!

وكان يرى أن الإسلام هو الذي حمى اللغة العربية والقومية من الاندثار، فقال:

عِشْ للعروبةِ هاتفاً بحياتها ودوامها ::: وامدُدْ يمينَ الحب يا لبنانها لشآمها

انظر إلى آثارها تُنبئكَ عن أيامها ::: هذا التراثُ يمُتُّ معظمه إلى إسلامها

وقد صاغ - الشاعر القروي - قصيدة رائعة بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف، بعنوان " عيد البرية " يشيد بهذه المناسبة العطرة، وما فيها من ذكريات غالية، فيقول:

عيد البرية عيد المولد النبوي ::: في المشرقين له والمغربين دوي

عيد النبيّ ابن عبد الله من طلعتْ ::: شمس الهداية من قرآنه العلوي

بـدا مـن القفـر نـوراً للـورى وهـدى ::: يـا للتمـدُّن عـمَّ الكـون مـن بـدوي

ثم يمضي " الشاعر القروي " في قصيدته يستحثّ المسلمين على الوحدة والتآخي، لاستعادة مجدهم القديم، ويقرئ رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاماته وحبه وتحياته، فيهتف:

بـدا مـن القفـرِ نـور للـورى وهـدى ::: يـا للتمـدُّنِ عـمَّ الكـونَ مـن بـدوي
يـا فـاتحَ الأرضِ ميـداناً لدولتـهِ ::: صـارتْ بـلادكَ ميـداناً لكـلّ قـوي
يـا قـومُ هـذا مسـيحيٌّ يـذكّركُمْ ::: لا يُـنْهِضُ الشـرقَ إلاَّ حبنـا الأخـوي
فـإنْ ذكـرتُمْ رسـولَ اللهِ تكْرِمـةً ::: فبلِّغـوه سـلام الشَّـاعر القـروي

ولا يفوتنا في هذا المجال؛ أن نذكر الشاعر (عبد الله يوركي حلاق) الذي أمضى عمره ثائراً من أجل أمته، وقد وظَّفَ أشعاره كلها في خدمة قضايا الأمة، استمع إليه من قصيدة (طفل فلسطيني ثائر):

عربـي عربـي ::: ولـيَ الفخـرُ بهـذا النسـبِ
مـذهب الفرقـة لا أعرفـه ::: فاخشـعوا إنْ تسـألوا عـن مـذهبي
أنـا صـبّ تيمتنـي لغـة ::: صـانها القـرآنُ أسـنى الكُتُـبِ
وجهـة المحـراب عنـدي هيكـل ::: فيـه عيسـى والنبـيّ العربـي!

وهناك الشاعر (رياض المعلوف) وهو من شعراء المهجر، كثيراً ما يفاخر بحضارة الإسلام، ويؤكد أن القرآن الكريم معجزة إلهية خالدة، ودستور للشرائع والحِكَم، فيقول في قصيدة له بعنوان (وَحِّد الله):

وَحِّـد الله فـالمؤذن وَحَّـد ::: وبـذكر النبـيّ فـي العيـد أنشِـد
يـا رسـول الله أنـتَ وعيسـى ::: خيـر مـن يُصـطفَى ويُرجـى ويُقْصَـد
عيـدكَ اليـوم غبطـة وابتهـاج ::: لجميـع الأعـراب والله يشـهد
إيـه قرآنـكَ الكـريم كتـاب ::: رائـعٌ كلـه ومـن در منضّـد
عِبَـرٌ كلـه وقـولٌ كـريم ::: كلمـا طـال عمـرهُ يتجـدد
وكفـى العُـرب فخـرهم بانتسـاب ::: لنبـيٍّ هـو النبـيّ مُحمّـد

وهناك الشاعر السوري " عطا الله مغامس " الذي كثيراً ما يدعو إلى الوحدة والتعايش والإخاء والمحبة، ويحذّر من مغبة الفُرقة والتنابذ، فيقول في قصيدة «دين الإخاء»:

يا مسلمين ويا نصارى يعرُب ::: عودوا إلى عهد الصفاء وسلموا

أنتم جناحا أمة منكوبة ::: فحذار ثم حذار أن تتقسموا

إنَّ الوداد تفاهم ما بينكم ::: فإذا تنابذتم فتلك جهنم!

ومن العلامات البارزة في مسيرة الشعراء النصارى؛ الشاعر/ عبد الله حلاق - الذي عاش يباهى بالإسلام، ويمتدح الرسولَ مُحمّداً صلى الله عليه وسلم ، حتى إنه لمْ يترك مناسبة أو لقاءً إعلامياً يُجرَى معه إلاّ وتحدث بإسهاب عن الإسلام ديناً إنسانياً سامياً هدى البشرية إلى النور والعدل والسلام، وعن القرآن الكريم معجزة إلهية تعنو لبلاغتها الجباه.

هذا الإعجاب بكل ما يتعلق بالإسلام عكسه " عبد الله حلاق " في أشعاره.. وما زالت المساجد في مدينة حلب حتى اليوم تردّد في الاحتفالات الدينية، وفي تسابيح التهجّد قبل صلاة الفجر الأشعار التي كتبها " عبد الله حلاق " في مديح النبيّ مُحمّد صلى الله عليه وسلم، وهي أشعار كثيرة مبثوثة بين صفحات دواوينه، ولعلَّ أشهرها قصيدته " النونية " التي ألقاها في مهرجان الشعر الدوري السادس الذي أُقيم بدمشق في سبتمبر ١٩٦١م - وكان مطلعها:

قبسٌ من الصحراء شعشع نوره ::: فجلا ظلام الجهل عن دنيانا

ومشى وفي أردانه عبق الهدى ::: وأريج فضلٍ عطّر الأكوانا

بَعَثَ الشريعةَ من غياهبِ رمسها ::: فرعى الحقوق وفتَّح الأذهانا

مرحى لأُميٍّ يُعلِّم سِفْرَهُ ::: نبغاء يعرب حكمةً وبيانا

من ذا يجاذبهُ الفخار وقد حمى ::: أمّ اللغات وشرَّفَ العُربانا؟

أمحمدٌ والمجدُ نسج يمينه ::: مجَّدتَ في تعليمك الأديانا

وسحقتَ رأس الشر حين وطئته ::: وزرعتَ في قلب العتيّ حنانا

إنِّي مسيحيٌّ أجَلُّ مُحمّداً ::: وأراهُ في سِفْر العُلا عنوانا

وأُطـأْطئ الـرأس الرفيـع لـذِكْر مَـنْ ::: صـاغ الحـديث وعلَّـمَ القرآنـا
إنِّـي أُبـاهي بالرسـول، لأنـهُ ::: صـقَلَ النفـوسَ وهـذَّب الوجـدانا
ولأنـهُ داس الجهالـةَ وانتضـى ::: سـيف الجهـاد فحطَّـمَ الأصـناما
ولأنـه صـان العروبـةَ وابتنـى ::: للعـربِ مجـداً رافـقَ الأزمانـا
صـان الفخـارُ البكـرُ ذكـرَ محمَّـدٍ ::: وهفـا فشـنَّفَ الآذانـا
فلقـد ربينـا فـي ظـلال عروبـة ::: عربـاء تشـرق عـزة وأمانـا
مـا نحـنُ إلاَّ أخـوة نسـعى إلـى ::: إسـعاد أمتنـا وصـون حمانـا

ويعدُّ الشاعر الكبير/ شبلـي المـلاط (١٨٧٨ - ١٩٦١م) مـن أبـرز شعراء لبنـان في النصف الأول من القرن العشرين! وقد لُقِّبَ بـ " شاعر الأرز " ! جاء إلى مصر سنة 1927 ممثلاً دولته في مبايعة شوقي لإمارة الشِّعر، وكان قد ألقى قصيدة رائعة، قالوا عنها: إنها أحسن ما قيل! حتى إن الحفل الكبير قد قام لها وقعد مرتجاً بعواصف التصفيق والتهليل، ذكَّر فيها العرب والمسلمين بأمجادهم التي عمَّت الدنيا في الماضي، وطالبهم باليقظة والعمل الجاد لانتشال العالم من وطأة الطغيان والفوضى التي صارت قانوناً. المهم أنه تحدث في هذه القصيدة عن فضل الرسول الكريم على العرب بصفة خاصة، وعلى الدنيا عامة، وكان مما قاله:

مَـنْ للزمـان بمثـل فضـل مُحمَّـد ::: وعدالـة كعدالـة الخطّـاب؟
رفـع الرسـولُ عمـاد أُمّـة يعْـرُب ::: وأعزَّهـا بالأهـل والأصـحاب
غشـت الفتـوح، وصـفَّقتْ راياتهـا ::: فـي الشـرق فـوق أبـاطح وهضـاب
حَيـيِّ الجزيـرةَ فـي مسـارحها ومـا ::: فـي الريـف مـن رِيٍّ ومـن إخصـابِ
واسـمع فـديتكَ نبـرةً مُضـريةً ::: عربيـةً فـي منطـقٍ خـلاَّب
واستنشِـدْ القـرآنَ قومـاً جـوَّدوا ::: منـه بـآي النفـوسِ عِـذاب
واقـرأ بـه فصـحى اللغـاتِ مُدِلَّـة ::: فـي المشـرقيْن بجـوهر الأحسـاب
لـولا يـد الإسـلام لـمْ تسـلم بهـا ::: فيهـا مـن الأخـلاق والآداب
مَـنْ لـمْ يصـن لغـة الجـدودِ؛ فليس ::: فـي قوميـة تنميـهِ فـي الأنسـابِ!

أمَّا الشاعر الطبيب اللبناني/ نقولا فياض (١٨٧٣ - ١٩٥٨م) الملقَّب بـ " أمير المنابر " فيناجي - النبيّ العربيّ - في قصيدته (مُحمّد رسول الله) من ديوانه (رفيف الأقحوان) قائلاً:

نبـيَّ العُـربِ ألهمنـي بيانـا ::: علـى عجـزي أهـزُّ بـه الزمانـا
وأرفـع للنفـوسِ لـواء حـقٍّ ::: وأبسـطه علـى الـدنيا أمانـا
وأجعـلُ فـي حنايـا كـل صـدرٍ ::: لمولِـدِكَ المبـارك مهرجانـا

وللشاعر (إلياس فرحات) قصيدة طويلة، ألقاها أثناء مشاركته الاحتفال بذكرى مولد الهادي البشير صلى الله عليه وسلم، فتحدث الشاعر عن الجهالة التي عمّت الأرض قبل البعثة النبوية، وأفاض الشاعر فيما جاء به الإسلام من الأخوة الرحيمة. ودعا - الشاعر - إلى دراسة الإسلام وفهمه عن طريق كتب أصحابه، لا من صحائف الاستشراق، فقال:

غمـر الأرض بـأنوار النبـوة ::: كوكـب لـم تـدرك الشـمس علـوّه
لـم يكـد يلمـع حتـى أصـبحت ::: ترقـب الـدنيا ومـن فيهـا دنـوّه
بينمـا الكـون ظـلام دامـس ::: فتحـت فـي مكـة للنـور كـوّة
وطمـى الإسـلام بحـراً زاخـراً ::: يـأوي ذي المعـالي والفتـوة
مَـنْ رأى الأعـرابَ فـي وثبـتهم ::: عـرف البحـرَ ولـم يجهـل طُمـوّهْ
إنَّ فـي الإسـلام للعـرب عـلاً ::: إنَّ فـي الإسـلام للنـاس أُخـوة
فـادرس الإسـلام يـا جاهلـه ::: تلـق بطـش الله فيـه وحنـوّه
يـا رسـول الله إنّـا أُمـة ::: زجّهـا التضـليل فـي أعمـق هـوّة
ذلـك الجهـل الـذي حاربتـه ::: لـمْ يـزل يظهـر فـي الشـرق عتـوّه
قـلْ لأتباعـكَ صـلُّوا وادرُسـوا ::: إنمـا الـدينُ هُـدىً والعِلـمُ قـوة!

وهناك قصائد مدائح نبوية للشاعر/ وصفي قرنفلي (١٩١١ - ١٩٧٨م) وهو من محافظة حمص بسوريا - وكان من طليعة الكُتَّاب السوريين، أصدر ديوانه (وراء السراب) الذي احتوى على القصيدة التي أهداها لنبيِّ الإسلام؛ وقد خشي - الشاعر - أن يُتَّهَم بمجاملة المسلمين ومداهنتهم، فبرَّرَ مدحه لرسول الله،

وأعلن أن طائف الحب طاف به، فأترع كؤوس الهوى. كما كشف عن إعجابه بعظمة مُحمَّد صلى الله عليه وسلم وحبه لمبادئه السامية، وفيها يردّ على من يتهمه بعدم إخلاصه، وقد مهَّد الشاعر لقصيدته بمقدمة صادقة، قال فيها: " عقيدتي الشخصية أن مُحمّداً رسول كبقية الرسل، وأنَّ الدين الإسلامي قوة للشرق في جهاده القومي يجب استغلالها، وإذا لمْ يكن للقرآن من يد إلاَّ صيانة لغتنا - واللغة أجلّ مظاهر القومية - لكفاه ذلك فضيلة تُحمد، ويداً تُشكَر.. ولا أرى في مسيحيتي ما يمنعني من الاعتراف بهدي النبيّ مُحمَّد، ويده على الإنسانية والعرب ". يقول الشاعر في مطلع القصيدة:

قدْ يقولون: شاعرٌ نصراني ::: يرسل الحب في كذاب البيانِ
كذبوا – والرسول – لمْ يجرِ يوماً ::: بخلاف الذي أكن لساني!
أوَ عارٌ على فتى يعربي ::: أنْ تغنّى بالسيّد العدناني
أوليس الرسولُ منقذ هذا الشرق ::: من ظلمة الهوى والهوانِ؟
أفكُنّا لولا الرسول سوى العبدانِ؟ ::: ساءت معيشة العبدانِ
صاح بالشرق واستثار نبيّه ::: فتنادوا بالفرس والرومانِ
أوليسَ الوفاءُ أن تخصَّ المنقذَ ::: حباً إنْ كنتَ ذا وجدانِ؟!
فالتحيّاتُ والسلامُ أبا القاسم ::: تُهدَى إليك في كلِّ آنِ
ما تراءيتُ بالهوى، بلْ سقاني ::: طائف الحب والهوى ما سقاني

والشاعر - المهاجر إلى المكسيك (محبوب الخوري الشرتوني) معروف بجموح خياله، وصدق العاطفة وتوقدها، نراه في قصيدته: " قالوا تحبُّ العرب " يدلي بشهادته، ويؤكد هويته، ويعزز انتماءه وعشقه للعروبة، والإشادة بخاتم الأنبياء، ومفخرة البشرية، فيقول:

قالوا: تحب العرب قلت: أُحبهم ::: يقضي الجوارُ عليَّ والأرحامُ
قالو: لقد بخلوا عليك! أجبتهم: ::: أهلي وإنْ بخلوا عليَّ كرامُ
قالوا البداوة! قلتُ: أطهر عنصرٍ ::: صفتْ النفوس لديه والأجسام!
الأريحيةُ والشهامةُ والندى ::: في الأرض حيث أيانق وخيام!

قــالوا الديانــة؟ قلــتُ: جيــلٌ زائــلٌ ::: وتـــزولُ معـــه حـــزازةٌ وخصـــامُ!
وَمُحَمَّـــدٌ.. بطـــل البريـــة كلهـــا ::: هـــو للأعـــارب أجمعـــين إمـــام!

هذه بعض الورود التي اقتطفناها من بستان الشّعراء المسيحيين الشرفاء، والمبدعين العرب الحقيقيين - ولوْ أننا مضينا في هذا الميدان؛ لأثقلنا أربعين بعيراً مما جادت به قرائح الشعراء؛ الذين وجدوا في شخصية (نبيّ الإسلام صلى الله عليه وسلم) منهلاً عذباً، وموردًا صافياً... فجادت قرائحهم، وتفجرت ملكاتهم الخالقة بكثير من الروائع الخالدة!

* * *

سؤال لابدَّ منه

ذات مرة؛ سألتُ الأديب والشاعر الإسلامي (سيد سليم): لماذا تميزت مدائح المسيحيين بالحنين المتدفّق والعاطفة الجياشة أكثر مما رأيناه عند الشعراء المسلمين؟!

فقال: إنَّ من يشتاق إلى النور يُعبِّر عنه بأجمل ممن عاش فيه! فالذين يعيشون في نورٍ مستمر يعتادون عليه؛ فيصابون بالملل، أوْ قد يصيب العَشَى أبصارهم! أمَّا غيرهم فينجذبون إلى النور؛ بسبب الحرمان! وكل الأرواح عرفت النبيّ في عالم الذر، وآمنوا برسالته عند أخذ الميثاق، فالذين أغوتهم الشياطين أوْ جحدوا بالوراثة؛ ربما حنَّت أرواحهم إلى ما عرفوا من النور سابقاً!!

* * *

لا جَرَمَ أنَّ الباحث في شِعر النصارى العرب؛ لا يستطيع أن يغفل أسماء شعراء كبار، وإنْ شئتَ قل: فنانين كبار، بلْ لا أكون مبالغاً إذا سَمَّيتُهم فلاسفة كبار!! فقد امتازوا بخواطرهم المترفة، وجليل المعاني، وأناقة التعبير، ورشاقة الكلمات!

إنهم يفكِّرون في البيت الشِّعري مرتيْن: مرةً في دقة معناه، ومرةً في بهاء صقله؛ لذلك أتوا بنمطٍ من البيان الساحر، الذي تخشع له النفوس روعةً وإعجاباً، وجمعوا أبهاء الجمال في فنٍ راقصٍ مُطرب!! أمثال: خليل مطران، وجورج سلستي، وجاك صبري شماس، وجورج صيدح، ونصر سمعان، وإلياس فاعور، ونقولا حنا، وناصيف أيوب، وجميل لبيب، والأب/ نيفون سابا، ويوسف حنا العيد، وجميل الخوري، ومارون عبود، وإلياس قنصل، وميخائيل ويردي... فإلى روائعهم الشِعرية!

* * *

رسالة مُحمَّد.. رسالة اللّه!

شاعر القطرين (خليل مطران) عاش في مصر، ولطالما شارك المصريين احتفالاتهم، وقد سبق أن ذكرتُ في كتابي (شعراء الأزهر) أنه كان ثالث الشعراء الثلاثة الكبار في مطلع القرن العشرين (حافظ وشوقي ومطران)! وتعد قصيدته (لغة القرآن) من عيون شِعره، استهلها بقوله:

سَمِعْتُ بِأُذْنِ قَلْبِي صَوْتَ عُتْبِ ::: لَهُ رقْرَاقُ دَمْعِ مُسْتَهَل
تَقُولُ لأَهْلِهَا الفُضْحَى أَعَدْلٌ ::: لِرَبِّكُمْ اغْتِرَابِي بَيْنَ أَهْلِي؟
أَلَسْتُ أَنَا الَّتِي بِدَمِي وَرُوحِي ::: غَذَتْ مِنْهُمْ وَأَنْمَتْ كُلَّ طِفْل؟
أَنَا الْعَرَبِيَّةُ المشْهُودُ فَضْلِي ::: أَأَغْدُو الْيَوْمَ وَالمَغْمُورُ فَضْلِي؟
إِذَا مَا القَوْمُ بِاللُّغَةِ اسْتَخَفُّوا ::: فَضَاعَتْ، مَا مَصِيرُ الْقَوْمِ قُل لِي؟
يُحَارِبُنِي الأُلَى جَحَدُوا جَمِيلِي ::: وَلَمْ تَرْدَعْهُمُ حُرُمَاتُ أَصْلي
وَفِي الْقُرْآنِ إِعْجَازٌ تَجَلَّتْ ::: حِلاَيَ بِنُورِهِ أَسْنَى تَجَلِّ
وَلِلْعُلَمَاءِ وَالأُدَبَاءِ فِيمَا ::: نَأَت غَايَاتُهُ مَهَّدْتُ سُبْلِي
وَهَلْ لُغَةٌ قَدِيماً أَوْ حَدِيثاً ::: تُعَد بِوَفْرَةِ الحَسنَاتِ مِثلِي؟
فيَا أُمَّ اللُّغاتِ عَدَاكِ مِنا ::: عُقُوقُ مَسَاءَةٍ وَعُقُوقُ جَهْلِ
لَكِ العَوْدُ الحَمِيدُ فأَنتِ شَمْسٌ ::: وَلم يَحْجبْ شُعاعَك غيْر ظِلِّ
دَعَوْتِ فهَبَّ مِن شَتَّى النوَاحِي ::: مَيَامِينٌ أُولُو حَزْمٍ وَنُبْلِ

ولمطران قصيدة أخرى طويلة بعنوان (أصول الضاد) يقول فيها:

أصولُ الضادِ طيبةُ الأُرُومِ ::: تفرَّعُ كلَّ تفريعٍ مرومِ
ترى في روضها ما تشتهيهِ ::: مُناكَ من البواسقِ والنجومِ
وتلقى من طريف الوشْي فيها ::: أفانينَ الأزاهرِ والوشومِ
فدعْ ما يدَّعيهِ كل خصمٍ ::: خفيِّ الكيد أوْ فدْمٍ غشومِ
وسلْ عما جنى منها لجيلٍ ::: فجيلٍ كل مطّلعٍ عليم
أمَا في عصرنا هذا فحولٌ ::: أعادوا روعةَ العصرِ العظيمِ

وآتوهـــا مفـــاخرَ أثَّلوهـــا ::: تزيـــدُ مفـــاخر الإرث الكـــريم
تبـــوأ هيكـــلٌ بـــالحق فيهـــا ::: يُجشِّـــمه الثقـــالُ مـــن الهمـــومِ
فمـــا يغنيـــه مـــن حُســـنٍ طِـــلاءٌ ::: ومـــا يبغيـــهِ إلاَّ فـــي الصـــميم
إذا لـــمْ تبتـــدِع فكـــراً جمـــيلاً ::: تصـــوِّره بأســـلوبٍ وســـيم
فمـــا يُغنـــي عـــن التكـــرار قـــولٌ ::: وإنْ هـــو غيـــرُ ترديـــدٍ عقـــيم
وهل في الرسمِ أوْ في النقشِ تُجدي ::: إعـــاداتُ النقـــوشِ أوْ الرســـومِ
أمَـا تُـوحِي الصـروحُ علـتْ وراعـتْ ::: كإيحـــاء الأثـــافيَ والرســـومِ
أمَـا فـي البـرق معنـىً غيـرُ ومْـضٍ ::: بـــلا أثـــرٍ يُلغْلِـــغُ فـــي الغيـــومِ
أمَـا فـي النـور أو فـي النـارِ إلاَّ ::: ذُبـــالٌ أوْ ضِـــرامٌ فـــي هشـــيمِ
أتـــى هـــذا الزمـــانُ بـــألف لـــونٍ ::: جديـــدٍ فـــي الفنـــون وفـــي العلـــومِ
كنـــوزٌ للأديـــب بهـــا ثـــراءٌ ::: فلـــيس لقـــائمٍ عُـــذرُ العـــديم
فـإنْ ينعـوا علـى الفصـحى قصـوراً ::: فقـــد يقـــع المـــلامُ مـــن المُلِـــيمِ
أمنهـــا العجـــزُ أمْ منـــا ومـــاذا ::: علـى المخـدومِ مـن عجـز الخـديم
لهـــا وادٍ هـــو الـــدنيا جميعـــاً ::: ونُقصِـــرها علـــى وادِ الصـــريمِ
تتبّـــع هـــيكلاً فيمـــا نحـــاه ::: بخطتـــهِ مـــن النحـــو القـــويمِ
واعْـــدِدْ واجتهِـــد واخلُـــقْ ونسِّـــقْ ::: بتقـــديرٍ مـــن الـــذوقِ الســـليم
فمـــا الانشـــاء إنشـــاءٌ إذا مـــا ::: بـــه انطبـــقَ الرســـيمُ علـــى الرســـيمِ
ترسُّـــل هيكـــلٍ مـــاءٌ مُصـــفّىً ::: حبتـــهُ بســـرِّها بنـــتُ الكـــرومِ
كتـــابُ (مُحمَّـــدٍ) فيـــه افتتـــانٌ ::: أفـاض مـن الحـديثِ علـى القـديمِ
وحلَّـــى بـــاليتيمِ سُـــموطَ دُرٍّ ::: تُسلسِـــلُ ســـيرةَ الفـــردِ اليتـــيمِ
إذا مـــا الـــوحيُ عـــاد بـــه جديـــداً ::: ولـــمْ يـــكُ بـــالهجين ولا الســـقيمِ
فـــذلك أنَّ أنـــواراً تجلَّـــتْ ::: بـــه مـــن مهـــبط الله الحكـــيم!
لآيـــات الحِجَـــا والقلـــبِ فيـــه ::: روائـــعُ تســـتبي لُـــبَّ الحلـــيمِ!
هـــو الشِّـــعر الطليـــقُ مـــن القـــوافي ::: ومفخـــرةُ النثيـــرِ علـــى النظـــيمِ!

عندما أشرقت مناسبة الاحتفال بالعام الهجري الجديد؛ شارك فيها مطران، وألقى قصيدته (عظة العيد الهجري) التي مدح فيها الهلال؛ الذي يرمز للإسلام ونبيه الأكرم، قال فيها:

سلامٌ على هذا الهلال من امرئٍ ::: صريح الهوى، والحر لا يتكتَّمُ!

سلامٌ وتكريمٌ.. بحق كلاهما ::: وأشرف من أحببته من تكرّم

هويتكَ إكباراً لمن أنت رمزه ::: من المأرب العلويِّ لوْ كان يفهمُ!

أيضاً؛ من روائع مطران قصيدته التي أنشدها أثناء الاحتفال بذكرى مولد الهادي، استلهم فيها دروس الهجرة النبوية، وجهاد الرسول في سبيل تبليغ رسالة ربه، فيقول في هذه القصيدة الجميلة، التي حملتْ عنوان: (رسالة مُحمَّد.. رسالة الله):

هلَّ الهلالُ فحيُّوا طالعَ العيدِ ::: حيُّوا (البشيرَ) بتحقيقِ المواعيدِ!

يا أيها الرمزُ تستجلِي العقولُ بهِ ::: لحكمة اللهِ معنىً غيرَ محدودِ

كأنَّ حسنكَ هذا، وهو رائعنا ::: حُسنٌ لبكرٍ من الأقمارِ مولودِ

للهِ في الخلقِ آياتٌ وأعجبها ::: تجديدُ روعتها في كل تجديد

يا عيدُ جئتَ على وعدٍ تُعيدُ لنا ::: أُولَى حوادثكَ الأُولَى بتأييدِ

بلْ كنتَ عيديْنِ في التقريبِ بينهما ::: معنىً لطيفٌ ينافي كلَّ تبعيدِ

رُددتَ يوماً يُسرُّ المؤمنون بها ::: ولمْ تكن بادئاً يوماً لتعييدِ

رسالة الله لا تنهى بلا نَصَبٍ ::: يُشقِي الأمينَ وتغريبٍ وتنكيدٍ

رسالة الله لوْ حلَّتْ على جبلٍ ::: لاندكَّ منها وأضحى بطن أُخدود

ولوْ تحمّلها بحر لشبَّ لظىً ::: وجفَّ وانهال فيه كل جلمود

فليس بِدعاً إذا ناء الصفيُّ بها ::: وبات في ألمٍ منها وتسهيد

ينوي الترحُّلَ عن أهلٍ وعن وطنٍ ::: وفي جوانحه أحزانُ مكبودِ

يكاد يمكث لولا أن تداركه ::: أمر الإلهِ لأمرٍ منه موعود!

فإذْ غلا القومُ في إيذائهِ خطلاً ::: وشردوا تابعيهِ كلَّ تشريدِ

دعا الموالين إزماعاً لهجرتهِ ::: فلمْ يُجبهُ سوى الرهطِ الصناديد!

مضى هو البدءُ، والصدِّيقُ يصحبهُ ::: يُغامرُ الحَزْنَ في تيهاء صيخودِ

مواليـاً وجهـةُ شـطرَ (المدينـةِ) فـي ::: ليـلٍ أغـرَّ علـى الأدهـار مشـهودِ
حتى إذا اتخذَّ (الغارَ) الأمينَ حِمَىً ::: ونـامَ بـين صـفاهُ نـومَ مجهـودِ
حَمـاهُ وشْـيٌ ببـابِ الغـارِ منسـدلٌ ::: مـن الأُولَـى هـدَّدوه شـرَّ تهديـدِ
يـا للعقيـدةِ و(الصـدِّيقُ) فـي سَـهَرٍ ::: تؤذيـهِ أفعـى ويبكـي غيـر منجـودِ!
إنَّ العقيـدةَ إنْ صـحَّتْ وزلزالهـا ::: مُفنِي القُرى، فهيَ حِصنٌ غيرُ مهدودِ
أمَّا الصِّحابُ الـذين استأخروا فتلوا ::: سارينَ فـي كـلِّ مسرىً غيـر مرصـودِ
ما جندُ قيصرَ أوْ كسرى إذا افتخروا ::: كهـؤلاءِ الأعـزاءِ المطاريـدِ
كـأنهم فـي الـدجى والـنجم شاهِدهم ::: فرسـانُ رُويـا لشـأنٍ غيـرِ معهـودِ
كـأنهم وضـياء الصـبحِ كاشـفهم ::: آمـالُ خيـرٍ سَـرَتْ فـي مُهجـة البِيـدِ
فـي حيطـة اللهِ مـا شـعَّتْ أسـنتهم ::: فـوق الظـلالِ علـى المهريَّـةِ القُـودِ

ويمضي - مطران - واصفاً المعاناة التي تجشَّمها " صاحب الرسالة " قبل الهجرة وبعدها، ثم الغزوات التي خاضها في سبيل إعلاء كلمة الله ورسالته، فيقول:

عـانى (مُحمّـدُ) مـا عـانى بهجرتـهِ ::: لمـأربٍ فـي سـبيل اللهِ محمـودِ
وكـمْ غُـزاةٍ وكـمْ حـربٍ تجشّـمها ::: حتـى يعـودَ بتمكـينٍ وتأييـدِ!
كـذا الحيـاةُ جهـادٌ، والجهـادُ علـى ::: قـدْرِ الحيـاةِ، ومـن فـادى بهـا فُـودِي!
أدنـى الكفـاحِ كفـاحُ المـرءِ عـن سـفهٍ ::: للاحتفـاظِ بِعُمـرٍ رهـنِ تحديـد
ليغـنم العـيشَ طَلْقـاً كـلُّ مقـتحِمٍ ::: ولبيـغِ فـي الأرضِ شِـقاً كـلُّ رعديـدِ
ومـن عـدا الأجـلَ المحتـومَ مطلبـهُ ::: عـدا الفنـاءَ بـذكرٍ غيـرِ ملحـودِ
لقـد علمـتم ومـا مثلـي ينبـئكم ::: لكـنَّ صـوتيَ فـيكم صـوتُ ترديـدِ
مـا أثمـرتْ هجـرة الهـادي لأُمتـهِ ::: مـن صـالحاتٍ أعـدَّتها لتخليـدِ
وسـوَّدتها علـى الـدنيا بأجمعهـا ::: طِـوالَ مـا خَلُقَـتْ فيهـا بتسـويدِ
بـدا وللشـركِ أشـياعُ توطـده ::: فـي كـلِّ مسـرح بـادٍ كـلَّ توطيـدِ
والجـاهليون لا يرضـونَ خـالقهم ::: إلاَّ كعبـدٍ لهـم فـي شـكل معبـودِ
مؤلَّهـون علـيهم مـن صـناعتهم ::: بعـضَ المعـادنِ أوْ بعـضَ الجلاميـدِ
مسـتكبرون أُبـاةُ الضـيْرِ غُـرُّ حِجـىً ::: ثقـالُ بطـشٍ لِـدانٌ كالأماليـدِ

لا ينـزلُ الـرأيُ مـنهم فـي تفـرقهم ::: إلاَّ منـــازلَ تشـــتيتٍ وتبديـــدِ
ولا يضـــمُّ دعـــاءٌ مـــن أوابـــدهم ::: إلاَّ كمـا صِـيحَ فـي عُفْـرٍ عباديـدِ
ولا يطيقـون حُكمـاً غيـرَ مـا عقـدوا ::: لـذي لـواءٍ علـى الأهـواءِ معقـودِ!

وعن أثر الرسول، في محاربة الجهل، وإزالة الشرك وعبادة الأوثان، وعدله وعطفه وإحسانه على أهل الكتاب، وإقرار مبدأ الشورى، يقول شاعر القطريـن:

بـأيِّ حِلْـمٍ مُبيـد الجهـلِ عـن ثقـةٍ ::: وأيّ عـــزمٍ مـــذل القـــادة الصـــيد
أعـــاد ذاك الفتـــى الأُمـــيُّ أُمتـــه ::: شـملاً جميعـاً مـن الغـرِّ الأماجيـد
لتلـك تاليـةُ الفرقـانِ فـي عجـبٍ ::: بـلْ آيـةُ الحـقِّ إذْ يُبغَـى بتأييـدِ
صـعبان راضـهما: توحيـد معشـرهم ::: وأخـــذهم بعـــد إشـــراكٍ بتوحيـــد
وزاد فـــي الأرض تمهيـــداً لدعوتـــهِ ::: بعهـــده للمســـيحيين والهـــودِ
وبدئـه الحكـمَ بالشـورى يـتم بـه ::: مـا شـاءهُ اللهُ عـن عـدلٍ وعـن جُـودِ
هـذا هـو الحـق والإجمـاع أيـدهُ ::: فمـــن يُفنِّـــده أولـــى بتفنيـــدِ!
أيْ مسـلمي مصـرَ إنَّ الجِـدَّ ديـنكمُ ::: وبـئسَ مـا قيـلَ شـعبٌ غيـرُ مجـدودِ
مـا أجمـلَ الـدهرَ.. إذْ يـأتي وأربُعنـا ::: حقيقـةُ الفعـلِ والـذكرى بتمجيـدِ!
غداً نرى البدرَ في طِرسِ السماءِ محا ::: بخـاتم النـورِ زلاَّتِ الـدجى السـودِ
يـــا حـــافلين بعيـــدٍ فيـــه تـــذكرةٌ ::: وعِبـــرةٌ حبـــذا النيـــروزُ مـــن عيـــدِ
تعلَّمــوا أنَّ قومــاً بــالتقى اعتصــموا ::: لهـم مـن اللهِ أجـرٌ غيـر مجحـودِ!

* * *

نجوى الرسول الأعظم

الشاعر اللبناني (جورج بن ميشيل سِلستي) حفظ القرآن الكريم! وعشق لغة الضاد، وقد بدا ذلك واضحاً في كثير من أشعاره. وصفه النقاد بأنه شاعر وجداني تملكه نزعة إنسانية رحيبة، جمعت تجربته بين الوصف والتعبير عن عاطفة المحب العاشق، والمديح النبوي، وقضايا العروبة. مدح نبيَّ الإسلام، في قصيدة رائعة بعنوان (نجوى الرسول الأعظم) أجاد فيها أيما إجادة من عذب البيان الساحر! كما تميزت القصيدة بلغتها السهلة، وأسلوبها المحكم مع التزامها بعروض الخليل والقافية الموحدة. وإنِّي لأعدها من عيون الشِّعر العربي الحديث، لذلك اخترتها ضمن كتابي (بستان المدائح النبوية) الذي احتوى على أهم وأجمل مائة قصيدة في التاريخ على الإطلاق! فهيا بنا نستمع إلى الشاعر العبقري/ جورج سِلستي - إذْ يستهل رائعته، قائلاً:

أقبلتَ كالحقِّ وضَّاحَ الأساريرِ ::: يفيضُ وجهكَ بالنعماءِ والنورِ
على جبينكَ فجرُ الحقِّ منبلجٌ ::: وفي يديْكَ جرتْ مقاليدُ المقادير
فرُحتَ والليلُ ليْلُ الكُفر معتكِرٌ ::: تفري بهديكَ أسدافَ الدياجيرِ
وتمطر البيد آلاءً وتمرعها ::: يُمناً يدومُ إلى دهر الدهارير
أَبَيْتَ إلاَّ سموّ الحق حين أبَى ::: سواكَ إلاَّ سموَّ البُطْلِ والزورِ!

وتبدو ثقافة - الشاعر - وعاطفته الجيّاشة في سائر أبيات القصيدة، لاسيما حينما خاطب الصحراء العربية التي طلعتْ عليها شمس المصطفى الهادي الأمين، حيث يقول:

ما أنتِ بالمصطفى يا بِيدُ مُجدِبةً ::: كلاَّ، ولا أنتِ يا صحراءُ بالبورِ!
أطلعتِ من تاهتْ الدنيا بطلعتهِ ::: ونافستْ فيه حتى موئلَ الحُورِ!
أطلعتِ أكرمَ خلقِ الله كلهمِ ::: وخاتمَ الرُّسُلِ الصِّيدِ المغاوير
بُورِكتِ أرضاً تبثُّ الطهرَ تربتها ::: كالطيبِ بثته أفواه القواريرِ!
الدِّينُ مازال يزكو في مرابعها ::: والنُّبلُ ما انفكَّ فيها جدّ موفور
والفضل والحلم والأخلاقُ ما فتئتْ ::: تحظى هناك بإجلالٍ وتوقير!

كفـاكِ افتخـارًا علـى الأكـوان قاطبـةً ::: بمـا حبـوتِ الـورى يـا بيـدُ مـن نـور
فلـيس كالـدين نـورٌ يُستضـاء بــه ::: فـي عـالمٍ بظـلام الجهـل مغمـور

وقبل أن ينهي الشاعر/ جورج سلستي - قصيدته؛ يتوجَّه بالاعتذار لرسول الله، خشية أن يكون التعبير قد خانه، أوْ تلعثم لسانه، لاسيما أنه يمدح صاحب البيان الفذ، وأفصح الناطقين الضاد قاطبة، والذي أوتِيَ جوامع الكلِم! ويستمر - الشاعر - في مدح خصال الرسول وصفاته كالحلم، والعفو، والمرحمة، وسائر الأخلاق الحميدة؛ تلك الخصال التي جمع بها شمل الناس، وقادهم بها إلى دين الله أفواجا. كما يشكو للرسول الديار التي سُلِبتْ، والمقدسات التي انتُهكتْ، وبيعَتْ كما تباع الشياه! واختتم القصيدة بالسلام على الرسول والصلاة عليه! فقال:

يـا سـيّدي يـا رسـول الله معـذرةً ::: إذا كبـا فيـك تبيـاني وتعبيـري
وأنـت ربُّ البيـانِ الفـذّ فـي لغـةٍ ::: تشـأو اللغـى حُسـنَ تنميـقٍ وتصـوير
علـى لسـانك مـا جـن البيـان بـه ::: فـذلك الشّعر يرنـو شـبه مسـحور!
مـاذا أوفِّيـكَ مـن حـقٍ وتكرمـةٍ ::: وأنـت تعلـو علـى ظنّـي وتقـديري!
آيٌ مـن الله.. مـا ينفـك مُعجزهـا ::: يُعيـي علـى الـدهرِ أعـلام النحـارير!
تلوتهـا فسـرتْ كـالنورِ مؤتلِقـاً ::: يطـوي الـدُّنا بـين مـأهولٍ ومهجـور!
ولفَّـتْ النـاسَ مـن بـدوٍ ومـن حضـرٍ ::: كمـا تلـفّ الثـرى هـوجُ الأعاصـير
فَـلانَ مـن كـان فظّـاً واسـتكان لهـا ::: مسـتكبرٌ وعنـا طـاغوتُ شِـريّرِ
وكنـتَ عفّـاً رقيـقَ القلـب متّسـمًا ::: بكـلّ زاهٍ مـن الأخـلاق منصـور
تسـتلّ بـالحِلم حقـدَ الحاقـدين وتَـحْ ::: تَـلّ القلـوبَ بلطـفٍ عنـك مـأثور
اللهُ أكبـرُ! كـمْ فـي اللـين مـن عظـةٍ ::: لعِلـق شـرٍّ غلـيظ القلـب مغـرور
فـاللين مقـدرةٌ والحلـم مـأثرةٌ ::: والعطـف مكرمـةٌ تُنبيـك عـن خِيـر
وأنتَ من أنت في دنيا الخصال ألاَ ::: بُورِكـتَ مـن مُرسَـلٍ بـالطهر مفطـور
تنهـى وتـأمرُ بالحسـنى ورائـدُك الـدْ ::: دينُ الحنيفُ بما أُلهمتَ من سور!
يـا ممـرعَ البيـدِ بالإيمـان مرحمـةً ::: فقد تنـاءى الهدى عن صفوة الدور
وجامعَ الشـمل بـالتقوى لقـد صَـفَرتْ ::: منهـا النفـوسُ فتاهـت كاليحـامير

أشـكو إليـك ديـارًا كنـتَ مُرشـدَها ::: ومرشـدوها اسـتكانوا اليـومَ للنّيـر
وأصـبحوا تبعًـا للأجنبـيّ فمـا ::: زادوا – وحقِّـك – إلاَّ سـوءَ تـدبير
وكـان بـالأمس حـبُّ الله يجمعهـم ::: فبـات يجمعهـم حـبُّ الـدنانير
وذي فلسـطينُ: أُولـى القبلتـيْن لقـد ::: بِيعـتْ علـى يـدهم بيـعَ الجـآذير!
يـا سـيّدي يـا رسـولَ الله روَّعنـا ::: صـرفُ الزمـان بشـرٍّ منـه مسـعور
وامتـدَّ بـالعُرْب ليـلُ النائبـات أمَـا ::: للفجـر بعـد الـدياجي مـن تباشـير؟
وطال منّا السُّرى في مَهْمَهٍ دُرِستْ ::: فيـه الصُّوى، قـاتمِ الأرجـاء مسجور
فاشفعْ فإنك أدنى المرسلين إلى ال ::: بـاري فنسـلَمَ مـن ذلٍّ وتعييـر
ويرجـع العـزُّ معقـودَ اللـواء لنـا ::: وحقُّنـا مُسـتجيرٌ غيـر منـزور
وَاكْـلأْ – عليـكَ صـلاةُ الله – أمّتَنـا ::: حيّـاك ربُّـك حتـى نفخـةِ السـور!

* * *

البُردَة النبويَّة

يُعدُّ الشَّاعر والأديب السوري/ جاك صبري شمَّاس - عضو اتحاد الكتّاب العرب - من أكثر الشعراء المسيحيين كتابةً في " الإسلاميات " فقد كتب قصائد عن " الحج " و " زمزم " و " رمضان " و " القرآن الكريم "... إلخ. ومما يميز شاعريته؛ عذوبة الألفاظ، وصدق العاطفة، وجمال الاستهلال، وحسن العرض، والاسترسال مع الفكرة. فضلاً عن وضوح فكرته، وقرب معانيه، وتكثيف رؤيته... فلا توجد حُفَرٌ، ولا مزالق، ولا مطبّات صناعية، مما ابتُلِيَ به كثير من الشعراء المُحدَثِين! يظهر ذلك جليًّا في قصيدته (أسمى اللغات) التي يقول فيها:

هـامَ الفـؤادُ بروضـكِ الريَّـان ::: أسـمى اللغـاتِ ربيبـة القـرآن

أنـا لـنْ أُخاطـبَ بالرطانـة يعربـاً ::: أوْ أسـتعير مترجمـاً لبيـاني

أودعـتُ فيـك حشاشـتي ومشـاعري ::: ولأنـتِ أُمـي والـدي وكيـاني

* * *

لغـة حباهـا الله حرفـاً خالـداً ::: فتضـوعتْ عبقـاً علـى الأكـوان

وتـلألأتْ بالضـاد تشـمخ عـزة ::: وتسـيل شـهداً فـي فـم الأزمـان

فاحـذرْ – أخـي العربـي – مـن غـدر المـدى ::: واغـرس بـذور الضـادِ فـي الوجـدان

مـا كـان حرفـكَ مـن فرنسـا يقتـدى ::: أوْ كـان شِـعْركَ مـن بنـي " ريغـان "

ولـئنْ نطقـتَ أيـا شـقيقي فلتقـلْ: ::: خيـر اللغـاتِ فصـاحة القـرآن!

وله قصيدة بعنوان (ليلة القدر) استهلّها بتحيةٍ عاطرةٍ لشهر الصوم، الذي شرف بنزول القرآن، وشهد مآثر الأمة وأمجادها، في ختامها يتوجَّه بالتحية لنبيِّ الإسلام، مبدياً شغفهِ بعاطر سيرته! ولأهمية هذه القصيدة، وضعتها في كتابي (أسرار ليلة القدر) يقول جاك شماس:

رمضـان تزهـو بالنـدى وحنـانِ ::: وتفـيض طهـراً فـي فـم الأزمـانِ

وتهـــلُّ بِشـــراً بالوقـــار معطـــراً ::: بالفـــــلِّ والآلاء والريحـــــانِ
والـيُمنُ يهمـي فـي شِـعابك ناضـراً ::: ويجـــود بالنعمـــاء والغفـــرانِ
ينسـاب فـي شـفة الأنـام مُـبجّلاً ::: ويفـــيء بالعرفـــان والإحســـان
سِـــفْرٌ يخـــط بيانـــه ألـــقُ التقـــى ::: ومـــآثر تســـمو بشـــمٍّ مغـــانِ
وصـحائف التـاريخ وشَّـحَ حسـنها ::: حُلـــل البيـــان، ونفحـــة الإيمـــان
مـــاذا أُســـطِّر والبليـــغُ مُقصّـــرُ ::: ومُقصِّـــر بالشِّـــعر والتبيـــان
والعبــدُ يســجد خاشــعاً متضــرعاً ::: للهِ يُنشِـــد كـــوثر الـــرحمن
رمضــانُ دُرُّ مناقــبٍ عبــر المــدى ::: عصـماء تشـمخ فـي جليـل معـان
وتـــرفُّ آيـــات الثنـــاءِ نبيلـــةً ::: وتهـــيم بالإيثـــار والفرقـــان
رمضـــانُ أنـــداءٍ وسَـــيْبُ شـــمائلٍ ::: وبيـــادرٌ تزهـــو بـــدوحِ جِنـــان
قبّلـــتُ طهـــرك بالبيـــان مغـــرداً ::: ومُكحِّـــلاً مُقَـــلَ التقـــى ببيـــاني
وأخـطُّ فـي صـحفي الفخـار فصـاحتي ::: وأذوبُ وجــداً بــالهوى القحطـان
أستنشـقُ الأمجـاد مـن نسـم الهـدى ::: وأُجِّــلُّ حــرف الضــاد والقــرآن
يـــا ليلـــة القـــدر المبـــارك يمنهـــا ::: وجنـــانُ يُمـــنٍ طـــاهرٍ ريّـــانِ
أستشـرف الآلاء فـي شـهر المنـى ::: شـــهرٌ تعطـــر بـــالتقى النـــوران
وأفـيء فـي رحـم التـراث متيمـاً ::: جـذلانَ أهفـو فـي شـموخ معـانِ
رمضـــان، يقرئـــك المحبـــةَ شـــاعر ::: عَشِـقَ النخيـلَ وسـورةَ الإنسـان
أنا يا (مُحَمَّد) قد وشمتكَ في دمي ::: هيمـانُ فـي مهـد الهـدى الربّـان
ونقشـتُ طهـرك فـي عيـون قصـائدي ::: وشُـغِفتُ حبـاً بـالنبيِّ البـاني!

هذا، ويستهل الشاعر " جاك شماس " ديوانه (هواجس في أعماق شاعر) بقصيدة " أوراق اعتمادي " والتي يعلن فيها عن مسيحيته، لكن هذا لا يمنعه من إجلالهِ لنبيِّ الإسلام، وإجلاله للغة الضاد، وكذلك إجلالهِ لأصحاب الرسول الكرام... يقول في مطلع القصيدة:

إنّـــي مســـيحيٌّ أُجِـــلُّ مُحمّـــداً ::: وأُجِـــلُّ ضـــاداً مهـــدها الإســـلامُ
وأُجِـــلُّ أصـــحاب الرســـول وأهلـــه ::: حيـــث الصـــحابة موقـــف وإمـــام
كحّلـــتُ شِـعري بالعروبـة والهـوى ::: ولأجـــل (طـــه) تفخـــر الأقـــلامُ

أودعتُ روحي في هُيَامِ مُحَمَّدٍ ::: دانتْ له الأعرابُ والأعجامُ!

وقد وقف " جاك شماس " موقفاً نبيلاً؛ أثناء الهجوم على الإسلام، والإساءة لنبيه الكريم، فكتب قصيدة يرد على الشانئين والمغرضِين، وقد قدَّم قصيدته بسطريْن، قال فيهما: حرية التعبير لا تعني على الإطلاق الإساءة إلى المعتقدات والمشاعر.. كما أنَّ حرية التعبير دون ضوابط أخلاقية لا تختلف عن شِرعة الغاب ". وقد استهلَّ - جاك شماس - قصيدته، قائلاً:

حاشا لمثلكَ.. من يذم ويُشتَمُ ::: وبك البسيطةُ تقتدي والأنجُمُ
ملأت محبتك الأنامَ وأغدقت ::: وبكل روضٍ في وِدادِكَ برعمُ
كيف الرِّعاعُ يُلفِّقون مساوئاً ::: والشرعُ خاتمه النبيّ المسلمُ
مَنْ ذا الذي يهذي بغير حقيقةٍ ::: والحق شمسٌ لا تغيبُ وتهرمُ
إنَّ الذي زرع الشمائلَ في الدُّنا ::: سرعان ما يزهو الندى والموسمُ
والمرءُ يشمخُ في سموّ فعالهِ ::: والله يمنحه المرامَ ويَعْظُمُ
دينٌ تجلَّى البر في فرقانه ::: وبهِ تكرَّم بالفضيلةِ مريمُ
والغربُ أمريكا وذؤبان الغوى ::: خبثٌ يهدهِدُ في الصدورِ ويجثمُ
والفتنة الكبر نتاج تعصُّبٍ ::: أعمى تخبط بالظلامِ يخيِّمُ
قلْ ما تشاءُ فلنْ تهزَّ عقيدةً ::: عصماء في شفة الدنى تتكلَّمُ
أنا من نصارى يعرُبٍ لا أرتضي ::: ذَمَّ النبوة أوْ نفاقاً يؤلمُ
تجري العروبةُ في عروق دمائنا ::: والضادُ حرفٌ في الهوى يترنَّمُ
هذي يدي عرباءُ تنثرُ طيبها ::: والقلبُ ينبضُ بالإخاء وينعمُ
وبليغُ قرآن الرسولِ مخلَّدٌ ::: إعجازه آيٌ جليلٌ مُحكَمُ
ويحفّ وجهَ مُحمَّدٍ ألَقٌ السنا ::: ومنارهُ وجهٌ وثغرٌ يبسُمُ!

وفي قصيدة أخرى، بعنوان (خاتم الرسل) يكشف الشاعر/ جاك شماس - عن مدى سروره وإعجابه بالنبيّ الخاتم، ويعلن أنه سيظل ينافح عنه حتى لوْ عُوقِبَ بقطع لسانه!

وفي هذه القصيدة؛ نجد ـ الشاعر ـ يخاطب الرسولَ بـ(طـه) و(خاتم الرسل) و(النبيّ الباني) وغير ذلك من الأوصاف! ويتغنَّى بسماحة الشريعة الإسلامية، ووصايا الرسول نحو النصارى العرب، كما يطلب ـ الشاعر ـ أن تصل تحيته للرسول. وفي ختام قصيدته؛ يخاطب الرسول الأكرم، معترفاً بعدم بلوغ غايتهِ من المدح، فالرسول فوق مدح المادحين، وثناء المتدلّهين! ويعلنها صريحةً مدويَّة؛ أنه لن تفلح الدنيا كلها في النيل من الإسلام دين الهدى والفرقان!

هذه القصيدة، نالت الجائزة الأولى في مسابقة (البردة النبوية)! يقول فيها:

يمّمتُ (طـه) المرسل الروحاني	:::	ويُجلُّ (طـه) الشاعر النصراني
يا خاتم الرسلِ الموشّح بالهُدى	:::	ورسولَ نُبلٍ شامخَ البنيانِ
أَلْقَىَ عليكَ الوَحي طهرُ عقيدة	:::	نبويةٍ همرت بفيض معان
قوّضت كهف الجهل تغدق بالمنى	:::	ونسفت شرك عبادة الأوثان
مهما أساء الغربُ في إيلامه	:::	لم يرق هون للنبي الباني
لا يحجب الغربال نور شريعةٍ	:::	ويظل نورك طاهراً روحاني
ماذا أُسطّرُ في نبوغ (مُحمّدٍ)	:::	قاد السفين بحكمة وأمان
ومآثر الإسلام في سِفر الهدى	:::	درب النجاة وشعلة الفرقان
أنا يا (مُحمّدُ) من سُلالةِ يعرُبٍ	:::	أهواكَ دينَ محبةٍ وتفانِ
وأذودُ عنكَ مولّهاً ومتيّماً	:::	حتى ولوْ أُجزَى بقطع لسانِ
أكبرتُ شأوكَ في فصيحِ بلاغتي	:::	وشغافِ قلبي مهجتي وبياني
وأُرتِّل الأشعار في شمم الندى	:::	دين تجلّى في شذى الغفران
وتسامح يزهو ببرد فضيلة	:::	وشمائل تشدو بسيب أغان
أغدقت للعرب النصارى عزة	:::	ومكانة ترقى لشمٍّ معان
وأنرتَ درباً ناضراً برسالة	:::	مسك الرسول وخاتم الأديان
وزرعتَ في قلب الرعية حكمةً	:::	شمَّاءَ تنطق في ندى الوجدان
أودعتُ يمنك في حدائقِ مقلتي	:::	ووشمتُ مجدك في شغاف جنان
ونذرتُ روحي للعروبة هائماً	:::	بالضاد والإنجيل والقرآن

ونقشتُ خلق (محمد) بمشاعري ::: ودرجتُ أرشف كوثر الرحمن
وشتلتُ في دوح التآخي أحرفي ::: أختالُ زهواً في بنى قحطان
آخيتُ (فاطمة) العروبة في دمى ::: وعفافَ (مريم) في فؤاد كياني
عاودتُ نور (محمد) بشريعةٍ ::: تزهو شموخاً في أجلِّ بيان
رفلتْ مبادئه نضار رجاحةٍ ::: وتعطرتْ بالبر والإيمان
والمجد يتبع خطوه أنّى مشى ::: ويسيل شهداً في فم الأزمان
ولئن تغطرس أجنبي حاقدٌ ::: كفقاعة الصابون في الفنجان
أنا (مسلمٌ) لله أمري في الدنى ::: ومُفاخِر (بالمسلم) المعوان
وإذا قرأتم للرسول تحيةً ::: فلْتُقرِؤوه تحيةَ النصراني
الله أكبر يا رسولُ فَسِرْ بنا ::: نحو الشموخ وقِبلَة الإيمان
ويكَحَّل الأقصى بروح مجاهدٍ ::: والقدس تزهو في قلاع أمان
أستصرخ (اليرموك) في ألق الوغى ::: شمخت صموداً في رحى الميدان
وتربعت عرش البطولة والفدى ::: ونمت على شفة وكل لسان
أودعتُ للعرب الكماة وصيتي ::: وغداة حتفي اذكروا عنواني
إنْ تاه عنواني فإني شاعر ::: عشق النخيل وسورة الإنسان
مهما مدحتكَ يا (رسولُ) فإنكم ::: فوق المديحِ وفوق كلّ بيانِ
لنْ تفلح الدنيا بكسر عقيدةٍ ::: والدينُ يرفل بردة القرآن!

* * *

صحراء يثرب!

نال الشاعر المهجري (جورج صيدح) شهرة واسعة بين مجايليه، فهو صاحب كتاب " أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية " الذي لقي صدىً واسعاً بين قراء العربية في كل مكان. كان متأثراً بالثقافة الإسلامية، وشغوفاً بجمال الألفاظ القرآنية، فكثيراً ما كان يوظّف المعاني والدلالات القرآنية بما يخدم به أفكاره ورؤاه الإبداعية، فيقول في قصيدته " صحراء يثرب " :

لا يعجز الله الذي	:::	إنْ قال: كنْ للشيءِ كان!
أمر الرمالَ فأطلعتْ	:::	صحراء يثرب أقحوان
للرسلِ آياتٌ وهذا ال	:::	نبيُّ آيته البيان!
الروحُ يُملي ما يترجمهُ	:::	جمهُ ونِعمَ الترجمان
بالضاد أذن ربه	:::	فتخلَّدتْ لغة الأذان!
يا صاحبيَّ بأيِّ آلاء	:::	النبيِّ تكذِّبان؟

بعد ذلك، يصف جورج صيدح (غار حِراء) الذي تنزَّل فيه أمين وحي السماء على النبيّ الأمين، ويتألق الشاعر في رسم هذه الصورة، فيقول:

شَـــرَفاً حِـــراءَ الغـــارِ هـــل ::: كحِـــراءَ فـــي الـــدنيا مكـــان؟
أخـــذ الشـــهادةَ مـــن شِـــفا ::: هِ المصـــطفى أخـــذ البنـــانْ
فـــي صـــدرِهِ ضـــمَّ النّجـــيَّ ::: وصـــانَ معجـــزة الزمـــانْ
وتنزّلـــــــتْ أمُّ الكتـــــا ::: بِ علـــى اليتـــيمِ مـــع اللبـــانْ
فهـــدى الأعـــاربَ ذلـــك ال ::: أُمّـــيُّ بالسُّـــور الحِســـانْ
أضـــحوا وفـــي الـــدنيا لهـــم ::: شـــأنٌ وعنـــد الله شـــأنْ
يـــا صـــاحبيَّ بـــأيِّ آلاء ::: النبـــــيِّ تكـــــذِّبان؟
يـــا مـــنْ سـريتَ علـــى البُـــرا ::: قِ وجُـــزْتَ أشـــواطَ العنـــان
عـــرِّجْ علـــى القـــدس الشـــريف ::: ففيـــهِ أقـــداسٌ تُهـــان!
مـــاذا دهـــاهم؟ هـــلْ عصـــوكَ ::: فأصـــبح الغـــازي جبـــان!
آنَ الأوانُ لأنْ تجـــــــدِّد ::: ليلـــــةَ المعـــــراجِ.. آنْ
أنـــتَ الـــذي علّمـــتهمْ ::: دفـــعَ المهانـــةِ بالســـنانْ
ونـــذرتَ للشـــهداءِ جَنَّـــا ::: تٍ وخيـــــراتٍ حِســـــانْ
يـــا صـــاحبيَّ يـــأيِّ آلاء ::: النبـــــيِّ تكـــــذِّبانْ؟

* * *

المولد النبوي

الشاعر/ ناصيف أيوب الحسيني (١٩١٢ - ١٩٩٦م) ولد في قضاء جبيل بلبنان، وتلقى تعليمه الأوَّلي بها، ثم التحق بمعهد ميفوق وانتقل منه إلى مدرسة المطران أفتيموس واكيم في زحلة، ثم مدرسة الفرير في دمشق. وقد عمل بالتعليم مديرًا للدروس العربية في كلية بغداد، حيث ارتبط بعدد من رجال الدولة، وفي مقدمتهم الملك غازي الأول الذي ظل ملازمًا له حتى رحيله. بعدها عاد إلى بلاده وعمل موظفًا في وزارة الأشغال العامة.

كان الشاعر/ ناصيف أيوب - عضوًا مؤسسًا في الرابطة الثقافية في بلدته جبيل، وشغل منصب أمين سر جمعية أهل الفكر منذ تأسيسها وحتى رحيله. وكان له نشاط بارز في حزب الكتلة الدستورية إبان الاستقلال وكان خطيبًا للكتلة، كما كان من مؤيدي الرئيس اللبناني/ كميل شمعون حتى لقب بشاعر القصر الجمهوري. أطلق عليه الملك غازي الأول لقب (شاعر الملوك). كذلك فعل الرئيسان: كميل شمعون، وبشارة الخوري.

ترك كثيراً من الأعمال الأدبية والفكرية، منها: «الأناشيد»، و«الخيال الوطني»، و«الطريق القويم»، و«لحن لبناني»، وغيرها. وله ديوان شعر بعنوان «أسل وعسل». وصفه الذين كتبوا عنه بأنه شاعر مناسبات ذو نزعة خطابية ونفس ملحمي في قصائده، جمعت تجربته الشعرية بين القصائد الوطنية وقصائد المناسبات، وله قصائد ترسم صورًا لعدد من العواصم العربية، مالت قصائده إلى الطول، وغلب عليها الوصف واستخدام اللغة السهلة والأساليب الأقرب للمباشرة منها للمجاز... يقول في قصيدة (المولد النبوي):

قامـتْ قـريشُ لـه وضـجَّ المشـرقُ ::: فـي الجاهليَّـة مَـنْ تُـراهُ يصـدِّقُ؟
وَثبَـتْ عليـه ولـم يـدُرْ فـي خلْـدها ::: أنَّ الـدُّجى نـور الهـدى لا يُمْحَـق
ومشَـوْا إليـه بالسّـيوف رهيفـةً ::: إلاَّ علـيُّ العبقـريُّ الأعـرق
والجـوُّ أقـتمُ والسّـماء مضـيئةٌ ::: قُدّامَـه حُجُـبُ الظّلـق
جـابَ الجزيـرةَ وانطـوَتْ لِركابـهِ ::: أرضُ الشّـآمِ فهـذه هـي جِلَّـق
وأتـى بـلادَ الفـرس ينشـرُ فوقَهـا ::: للنّصـر رايـاتٍ تـرفُّ وتخفـق
وعلـى حـدود الغـرب قامـتْ دولـةٌ ::: تمضـي العـروشُ وذِكْرهـا لا يُسـحق
عربيـةٌ أمُّ الشّـموس ورِفْـدُها ::: «عـدنانُ» ينـتظمُ البـدور ويَنْسِـق
أأبـا الرسـالاتِ الهـدى فـي أمّـةٍ ::: الـوحيُ بعـدك بدعـةٌ وتحـذلُق
صـنعَتْ لـك الفـتحَ المبـينَ سـيوفُها ::: والحـقُّ سـيفٌ فـي يمينـك يبْـرق
كلَّلـتَ بالغـار النَّضـيرِ جبينَهـا ::: أفمـا تـرى كيـف الفَخـارُ يُصـفِّق؟
سـارَتْ بنـورِكَ وارتـوَى أُمناؤُهـا ::: فـإذا الـبلادُ عدالـةٌ وترفُّـق
وإذا القلـوبُ تَحبُّـبٌ وتقـرُّبٌ ::: وإذا الشّـعوب تـودُّدٌ وتعلُّـق
خُلفـاؤُكَ الشّـجعانُ ضـاق برُشْـدِهم ::: رَحْـبُ الفضـاء فوسَّـعوه ووَثَّقـوا

* * *

من وحي القرآن

الشاعر الفلسطيني/ نقولا يوسف حنا (١٩٢٣ - ١٩٩٩م) تلقى تعليمه الابتدائي والإعدادي في عكا، وبعد نكبة (١٩٤٨) هاجر مع أسرته إلى سورية، وفي دمشق تابع دراسته فحصل على الثانوية العامة؛ مما أهله لأن يلتحق بقسم اللغة العربية في كلية الآداب، ثم التحق بقسم اللغة الإنجليزية وحصل منه على إجازة في الأدب الإنجليزي.

وقد عمل في سلك التعليم ربع قرن تقريباً، وأنشأ مدرسة الهدى الإعدادية، ثم انتقل إلى محافظة الحسكة، وهناك عمل مدرسًا في مدرسة السريان، ثم عمل في مدارس تابعة لوزارة التربية، وأخرى تابعة لوكالة الغوث، إضافة إلى بعض المدارس الخاصة.

انضوى في العمل الوطني منذ نعومة أظفاره، فقبل أن يتجاوز الثالثة عشرة من العمر حين هبت ثورة ١٩٣٦ ضد الهجرة الصهيونية إلى فلسطين، التحق بجيش الإنقاذ وخاض مع أقرانه من المجاهدين عددًا من المعارك ضد الهجمة الصهيونية الشرسة على أرض فلسطين.

هذا؛ وقد تفرغ الشاعر/ نقولا حنا - لدراسة القرآن الكريم، فكانت دراسته المتعمقة للقرآن الكريم، وحفظه له بصورة منقطعة النظير، إضافة إلى قيامه بإعداد فهرسة لمفرداته في مجلدين من القطع الكبير، أحدهما للأسماء، والآخر للأفعال، وتخصيصه دفترًا مستقلاً لكلمة الله أمرًا لافتًا ومثيرًا للتأمل والانتباه. له من القصائد السياسية والوجدانية والإسلامية، مثل قصيدة (من وحي القرآن) التي يقول فيها:

حجــازُ لقلبِــي بالحجــاز هُيــامُ ::: ووَجْــدٌ لــه طــيَّ الضــلوع ضِــرامُ
بعــدتَ ولــم تبْعُــد فأنــتَ بخــاطرِي ::: مقــيمٌ، فــلا مــلَّ النزيــلَ مُقــام
حللــتَ فــؤادًا خاليًــا فملكتَــه ::: ومــا قــادَه إلاَّ إليــكَ هُيــام
ولا بــدَّلَ الحــبَّ الزمــانُ فإننــا ::: تُصــان عهــودٌ عنــدنا وذِمــام
لقــد لامنــي فيــك العــذولُ ســفاهةً ::: ومــن يعشــقِ الأوطــانَ كيــف يُــلام؟

يقـــولَ أتهْـــوَى منـــزلاً مـــا عرفتَـــه ::: فقلــتُ: أمَـا الأجـدادُ فيـه أقـاموا؟
فمـــا أنكـــر الآبـــاءَ إلاَّ مهجَّـــنٌ ::: ولا الـــدارَ إلاَّ مـــارقون لئـــام!
لـئن لـم أكـن بالعصْـر هـذا متيّمًـا ::: فلـي بالعصـور السـالفاتِ غـرام
غرامـيَ نجـدٌ والحجـازُ وأهلهـا ::: وجرعاؤهـا وديانهـا وإكـام
ونـوقٌ علـى الكثبـان تحـدو رُعاتُهـا ::: يلـوح دخـانٌ خلفَهـا وخِيـام
ونخـلٌ علـى الواحـاتِ مـدَّ رُواقَـه ::: تداعبُـه ريـحُ الصَّـبا ونِسـام
أصاحِ أدرْ طـرفَ الخيـال لمـا مضـى ::: فمـا يحجـبُ الفكـرَ المنيـرَ ظـلام
تشـاهَدْ عِتاقًـا قـد تعشّـقتِ الـوغى ::: إذا ثـوَّبَ الـداعي فهـنَّ غَمـام
تُغيـرُ فمـا يومًـا ألـمَّ بهـا الـونى ::: ولا صـدَّها عنـد اللقـاء لِجـام
عليهـا مـن الفرسـان عُـرْبٌ أشـاوسٌ ::: إذا اهتـزَّ خطّـيٌّ وسُـلَّ حُسـام
عليهـا بنـو عـدنانَ فاضـت جموعُهم ::: وقحطـانُ تتلـو والفِجـاج قتـام
جبـابرُ لبّـوا دعـوةً علويّـةً ::: فغابـت نصـالٌ جُـرِّدتْ وسِـهام
دعـاهم إلـى الإيمـان بـالله وحـدَه ::: رسـولٌ شـريف النبعتـين هُمـام
محمـدُ خيـرُ الخلـق مـن آل هاشـمٍ ::: نبـيٌّ كـريمٌ والجـدود كـرام
لقـد شـرَّفَ اللهُ الوجـودَ ببعثـه ::: وتـمَّ لـه فـوقَ الأنـام مَقـام
مـذِ اختـاره الـرحمنُ للجهـل آسـيًا ::: تـوارتْ جهـالاتٌ وزال سَـقام
أنـار عقـولاً أوغلـتْ فـي ضـلالها ::: وأزرى بنـور البـدر وهْـو تَمـام
تقـيٌّ نقـيٌّ زاهـدٌ متهجِّـدٌ ::: عزيـزٌ أبـيٌّ لـيس فيـه مَـلام
شـجاعٌ كـريمٌ لا يُخيِّـبُ سـائلاً ::: ولا عـن غيـاث المسـتجير ينـام
قـديرٌ حلـيمٌ سـيّدٌ متواضـعٌ ::: حكـيمٌ بتصـريف الأمـورِ هُمـام
عفيفٌ يفَيض الطّهرُ من نور وجهِهِ ::: حبيـبٌ مَهيـبٌ منـذ كـان فِطـام
فضـائلُه حـين اسـتبانت لقومـه ::: دعَـوه أمينًـا وهـو بعـدُ غُـلام
سـجاياه أعيـا وصـفُها كـلَّ حـاذقٍ ::: فقصَّـرَ مَـدّاحٌ وضـاق كـلام
ولسـتُ أجيـد القـولَ لكـنَّ مِـدحتي ::: مناقبُـه أملـتْ بهـا وغـرام
يقولـون مـا آياتُـه؟ – ضـلَّ سعيُهم – ::: وآياتُـه ليسـت تُعَـدّ عِظـام؟!
كفـى معجـزُ الفرقـان للنـاس آيـةً ::: عـلا وسـما كـالنجم لـيس يُـرام
فكـلُّ بليـغٍ عنـده ظـلّ صـامتًا ::: كـأنَّ علـى الأفـواه صُـرَّ كِمـام
كفـى نصـرُه فـردًا تعاديـه أمّـةٌ ::: ومـن ينصـرِ الـرحمنُ كيـف يُضـام؟
تُـدافع عنـه العنكبـوتُ بخيطهـا ::: ويـدفع كيـدَ المشـركين حَمـام!

* * *

اليوم عيد مُحمَّد

الشاعر الأب/ نيفون سابا الأنطاكي (١٨٩٠ - ١٩٦١م) من مواليد مدينة أنطاكية - شمالي غرب سورية - عمل في مراتب الكهنوت حتى أصبح مطرانًا، وعمل في أبرشيات مدن الشام، ومنها: اللاذقية وعكار وحلب وحمص وحماة، وعمل مطرانًا في الجنوب اللبناني، ثم أُوفِدَ إلى البرازيل لتفقد شؤون الطائفة هناك.

وقد تعرض للنفي مع عائلته من قبل الأتراك أثناء الحرب العالمية الأولى. وقد حفزته نزعته القومية إلى الخطابة والإعلان عن مواقفه القومية في الكنائس والجوامع والأندية.

وصفه الذين تناولوا أشعاره بأنه شاعر فنان، حرر عبارته من قيود الكهنوت؛ فكتب الموشحات والأغاني، أعانه فيها حبه للغناء وصوته الجميل، كما كتب في الحنين والنجوى، والفخر بالوطن، والدعوة إلى القومية والتسامح. ولعلَّ مرثيته في البطل " جول جمال " تكشف عن حس وطني وانتماء قومي أصيل.

هذا؛ ويتميز شِعره برقة العبارة والعناية بالإيقاع بما يناسب التلحين والغناء.. كما في قصيدته (اليوم عيد مُحمَّد):

عهـــدُ الجـــدود تجـــدَّدْ ::: مـــا بـــين عيســـى وأحمـــدْ
يـــد العـــدا قطعتْـــه ::: بـــالأمس والله يشـــهد
لكنـــه بالنّصـــارى ::: والمســـلمين توَطَّـــد
عهـــدٌ ســـيبقى حصـــينًا ::: رغـــم الزمـــان مؤبَّـــد
بـــه نحيّـــي هـــلالاً ::: مـــع الصـــليب موحَّـــد
كلاهمـــا بـــدماء ال ::: مستشـــهدين تعمَّـــد
لا بِـــدعَ صـــيدحُ إن غـــنْ ::: نـــى اليـــومَ أو هـــو غـــرَّد
فشـــاعر العُـــرب أولـــى ::: بمـــدح أشـــرف محتِـــد
يهـــدي إليـــه القـــوافي ::: عِقـــدًا نظيمًـــا منضّـــد
مِـــن ابتكـــارٍ شـــهيٍّ ::: ومحـــدثٍ وموَلَّـــد

هذا صدى شعرِهِ في ::: أذن الرسول تردَّد
والوحي صاح طروبًا ::: ومعجبًا يتشهَّد
الله أكبر هذا ::: حسَّانُ بل هو أجود!
بنو العروبة سُرّوا ::: فاليوم عيدُ محمَّد!
والله ما العيد عيدٌ ::: بالمسلمين تفرَّد
بل عيد كلِّ لسانٍ ::: بالضّاد شاد وأَنشد!
الغصنُ ينمو نضيرًا ::: واخضرَّ ما كان أجرد
والفجر يبدو منيرًا ::: وأبيضَّ ما كان أسود!
والطفل صار كبيرًا ::: وقاصرُ الأمس أرشَد
والحرُّ كان أسيرًا ::: والحرُّ كالسّيف يُغمد
ما لي أكتِّمُ حبّي ::: وحب غيري مقلَّد
ما ضرَّني سعيُ واشٍ ::: إنْ ذمَّ يومًا وندَّد
والله ما أنا إلاَّ ::: على العروبة أُحْسَد!
وما أنا اليوم إلاَّ ::: على الأمانة أُحْمَد
مجاهدٌ بيقيني ::: ومؤمنٌ لست أَجحد
إنْ كان ذنبيَ حبّي ::: فما أنا عنه أرتد
وما لحاني رقيعٌ ::: إلاَّ وعزمي قدِ اشتد
يصفو دمُ العُرب عندي ::: وعند غيريَ يفسد
العيد مجدٌ وأضحى ::: في يوم «بيرون» أمجد
والسّعد لم يُدْرَ فيه ::: من منهما كان أسعد
عيدٌ يشارك عيدًا ::: وكلنا اليوم عيَّد
رمز اتحاد الجوالي ::: والعرب في خير مشهد
نحنو ابتهاجًا إليه ::: ونحن بالأنس نرغد
«بيرونُ» يرعى عهودًا ::: للعُرْب في خير مقصد
والعُرْب ترعى وَلاهُ ::: ما زال للخير يَجْهَد
أدعو له ودعائي ::: لا شك فيه مؤيَّد
للعُرْب دام وداموا ::: له بنصرٍ مؤكد
بجاه موسى وعيسى ::: وجاه عيدِ محمَّد!

ذكرى الهجرة النبوية

الشاعر السوداني/ صالح بطرس (١٨٩٤ - ١٩٣٤م) ولد في مدينة أم درمان وفيها توفي. تلقى تعليمه الابتدائي بأم درمان، ثم التحق بكلية غردون، حيث أتم تعليمه بالقسم الأدبي، ثم قسم المعلمين. بعد ذلك عمل موظفاً بمصلحة البريد والبرق، واشترك في جمعية اللواء الأبيض، وأسهم في ثورة ١٩٢٤م.

كان الشاعر/ صالح بطرس - يقول الشعر في المناسبات الدينية الإسلامية، وظهر في شعره تأثره بالقرآن الذي قرأه في الكتّاب، بلْ كان يخفي اسمه حتى كشف عنه بعض الدارسين لحياته وشعره!! وقد توسع في قراءة الشعر العربي، وتأثر بالبحتري إلى حد ما، وبالمتنبي إلى حد كبير، وقد آثر نهج محمود سامي البارودي. وقد تنوعت موضوعات قصائده، ما بين الغزل والوصف والرثاء، وأكثرها تنبعث عن مناسبة حاضرة، وفي عبارته عذوبة، وفي قوافيه جمال وتلقائية محببة.. وهذا ما نلمسه بوضوح في قصيدة (مسجد أم درمان):

يا مسجداً مطلتْ بنوه بعهدهِ ::: حتى غدا وهو الحسيرُ المعْدمُ
بدؤوكَ جُوداً بالصنيع وأحجموا ::: ما كان أولى أنّ ذاك يُتمَّم
بينا تُشيَّد إذ وقفتَ كأنك الطْ ::: طلَلُ المحيل عفاه هامٍ مُرْهم
عُريانُ رأسٍ لا تزال تضجّ من ::: حَرٍّ ومن قَرٍّ لوجهكَ يلطُم
وعليكَ هاميةُ الربابِ مُرِنَّةٌ ::: ومن السوافي الهوجِ ما هو أقتم
قد لوّحتْ شمسُ النهارِ بحرّها ::: من جانبيكَ ففي شبابكَ تهرم
لا تتّقي هذي ولا هذي، وهل ::: يوماً يُشابه حاسراً مُتعمِّم؟
لو كنتَ تنطق بالشَّكاة لهالهم ::: منكَ العويلُ وأنّةٌ لا تُكتَم
لكنّما أبديتَ حالكَ صامتاً ::: فرثى الصوامتُ إذ قسا المتكلّم!
أترى المساجدَ في القديم تُشاد في ::: أبهى الشُّكول فمُذْهَبٌ ومُرخَّم؟
فيها من التحف البديعة مُعجِبٌ ::: مُستملَحٌ ومن الطراز مُنمَّم
لبستْ من الذهب الصقيلِ كرائماً ::: وحوَتْ من الأحجارِ ما هو أكرم
قد لُوّنتْ بفسيفساءَ تزال في ::: كرِّ العصور بهيجةً لا تعتم

ونــراكَ تُعجــزهم بــأن تُبنــى بــآ ::: جُــرٍّ وتُســقَفَ بــالعروق وتُــردَم
أمنــارةَ الــدينِ الحنيــفِ تحيّــةً ::: مــن شــاعرٍ لــكَ قــد غــدا يتــرحَّم!

ولعلَّ قصيدته (ذكرى الهجرة النبويـة) من أروع ما أبدع، إذْ يقول فيها:

يـا مـن رأى طـوقَ الهـلالِ وقـد بـدا ::: يهــدي لنــا عامًــا أغــرَّ مُشــهَّرا
أكــرِمْ بطلعتــه وبهجــةِ نورهــا ::: إذْ بشّــرتنا أنْ ســتُحمَدُ مَخبــرا
شــبَّهْتُه لمــا غــدا مُتجلّيــاً ::: فــي أفقــه مَلِكــاً تبــوّأ منبــرا
وغــدت تحــفُّ بــه النجــومُ كأنهــا ::: حفــلٌ لتسـمعَ فـي الخطابـة أسـطرا
يمضــي علــى هــامِ القــرون مجــدِّداً ::: عصـرَ الشـبيبةِ لا يكـلّ مـن السُّـرى
أنــتَ الــذي تهــبُ الخيــالَ لشـاعرٍ ::: حتــى يُــرى فــوق المجــرّةِ طــائرا
ولأنــتَ أُنْــسُ مُســاهرٍ أحيـا الـدجى ::: ولأنــتَ مُرشــد مــن يهــيم تَجبُّــرا
ولأنـــتَ إحـــدى بيّنـــات إلهنـــا ::: مــن ذا يــراك ولا يسـبّح مـن بَـرا؟
أدركـــتَ أســـرارَ الوجـــودِ فحزتَهـــا ::: ورأيــتَ مــن آياتــه مــا لا نــرى!
هــل أنــتَ مُخبرنـا عـن القـوم الألـى ::: فلعلنـــا أن نســـتفيدَ تـــذكُّرا؟
ألقــوا إلــيَّ الــرُّوعَ هــا أنــا نافــثٌ ::: بعضَ الحديث فهامسٌ ذكرى الورى
كــانوا أولــي همــمٍ تُنــاجي رفعتــي ::: قــد أدركــوا مــا أمّلــوا بــل أكثــرا
هــم أنهجـوا سَـننَ الفضـيلةِ واضـحاً ::: هــم أنبعــوا علمــاً غــدا متفجّــرا
أخـــذوا بأعنـــاقِ المكـــارمِ أخْـــذةً ::: وتربَّعــوا مــن عــزّهم فــوق الــذُّرا
يترفّعـــون عـــن الدنيئـــة أو يُـــرى ::: سـيلُ النفـوسِ علـى الأبـاطحِ أَنْهُـرا
لا يرتضــون الضــيمَ شِــرعةَ مَــوردٍ ::: شــأنَ الأبــيّ ولا الهــوانَ مَعاشــرا
قــد أخلصــوا النيّــاتِ عنــد قيــامهم ::: وقعــودهم، لــم يستضــيفوا مُنكــرا
شــادوا لكــم عــزّاً رفيعــاً سَــمْكُه ::: وبنــوا لكــم مجــداً أثــيلاً أكبــرا
ذهبــوا وقــد أدّوا الأمانــةَ حقَّهــا ::: ونمــا إلــيكم ذكــرُهم متعطّــرا
يـا ليـت شـعري مـا صـنعتم بعـدهم ::: لأولئـك الآتـين؟ انظـرْ هـل تـرى؟!
إنــا غبرنــا بعــدهم فــي هجعــةٍ ::: شــتّانَ مــا بــين الثريّــا والثـرى!
يــا عــامُ إنــا آملــوكَ لخيرنــا ::: أمــلاً يُنيــل الحــظَّ فيــك مُــوفَّرا
واللهُ يهـــدي للســـدادِ فَعالَنـــا ::: كــان الإلــهُ بعــون عبــدٍ أقــدرا

النبيّ الفذّ

الشاعر الدمشقي/ إليـاس فاعور - المتوفّي سنة١٩٤٢م - اشتُهِرَ بسجاياه الحميدة، وأخلاقه الرفيعة، ولغتـه الجميلـة، وخيالـه الخصب... تتجلّى كل هذه السمات في أشعاره العذبة، لاسيما في قصيدته (النبـيّ الفـذّ):

بزغـتْ، ولكـن مـن جبـين محمـدٍ ::: شـمسٌ تـدلّ علـى سـناه الأنـورِ
فتهلّلـتْ بِشـرًا ملائكـةُ السـما ::: فـي يـوم مولـده العظـيم الأكبـر
أمحمـدٌ ولأنـت أرفـعُ رتبـةً ::: مـن كـلِّ سـامٍ فـي الـورى ومـوقّرِ
إنـي لأعجـزُ عـن مـديحك عالمًـا ::: أنـي أعـودُ بصـفقة المتحيِّـر
أطْلعتَ شمسك فاختفتْ وتضاءلتْ ::: كـلُّ النجـوم وسـال ذوبُ المَرْمَـر
ومـلأت أفئـدةَ الخصـوم بحكمـةٍ ::: فيّاضـةٍ، وبهـرتَ كـلّ مفكـر
وشـققتَ جِلْبـاب الظـلامِ بصـارمٍ ::: تجلـو مضـاربُه ضَـباب العِثْيَـر
وبـذلتَ نفسـك للصـوارم والقنـا ::: بـين الجحافـل فـي العُجـاج الأَكـدر
نفـسٌ بشـامخةِ النجـومِ وهمّـةٌ ::: أزرتْ بسـابقةِ العتـاقِ الضُـمّر
أنـت النبـيُّ الفـذُّ ذو التبيـان مـن ::: قـد مـاط شـرعتَه بحـدّ الأبتـر
فرقانُـه كالشـمس تسطع فـي الضحى ::: وحديثُـه كضـياء بـدرٍ مُقْمـر
أقوالـهُ تَهـدي «الرشـيد» إلـى التقـى ::: وبنانُـه يُـزري براحـة «جعفـر»!
ذو طلعـةٍ ردّت ظـلامَ زمانِـه ::: صـبحًا يـزين ظـلامَ ماضـي الأعصُـر
لـو شـئتُ نظـمَ فرائـدٍ مـن نثـره ::: أعيـتْ وضـاق بهـا مِـدادُ الأبحُـر
صـلّى عليـه الله مـا شـقَّ الـدجى ::: بـدرٌ وعـاد قُلامـةً مـن خِنصَـر!

* * *

يوم ميلاد الرسول

الشاعر الفلسطيني/ جميل لبيب الخوري (١٩٠٧ - ١٩٨٦م) ولد ومات في قرية كفر ياسيف بفلسطين. بعدما أنهى دراسته الثانوية في القدس، حصل على إجازة المحاماة من معهد الحقوق بها، ومارس تدريس اللغة العربية في عدد من مدارس القدس، ثم عمل قاضيًا في محكمة صلح حيفا في نهاية الانتداب البريطاني، كما مارس المحاماة في عكا بعد عام ١٩٤٨م. وانتخب رئيسًا لبلدية كفر ياسيف.

للشاعر جميل الخوري ديوان: " أيام ونغم ". ويعد شعره من الناحية الفنية يتوازى مع اتجاهات مدرسة الإحياء والتجديد التي أرساها: حافظ وشوقي، ومن الناحية الموضوعية نجده يختار لقصائده ما يجعل منها رسائل منذرة ومتفجرة، تتناسب وتوقيت إرسالها، مع هذا العناء بقيت له قدرة على الغناء للحياة وللأمل والحب على مستوى الوجدان الذاتي، تصديقًا لإيجابية المساندة للوجدان العام.

هذا؛ وقد نالت كثير من قصائده، مثل: صلاح الدين الأيوبي، ورهين المحبسين، والفلاح.. وغيرها، جوائز المسابقات التي نظمتها محطة الإذاعة البريطانية لشعراء فلسطين ما بين عامي:(١٩٤١ - ١٩٤٥م) يقول في قصيدته (يوم ميلاد الرسول):

من أُفْق مكةَ أشرقتْ أنوارُ ::: فانجابَ ديجورٌ وعَمَّ نهارُ

طفلٌ أطلَّ على الورى بجبينه ::: بَهَرَ العيونَ ضياؤُه البهّار

لمَّا بدا للكون نورُ محمدٍ ::: متلألئاً، سجدتْ له الأقمار

فرحتْ به دنيا الهدى واستبشرتْ ::: ورنتْ إليه وكلها إكبار

وأتتْ ملائكة السماء مشوقةً ::: ترعى الوليد وقد علاه وَقَار

هذا حبيب الله فيه هدايةٌ ::: للعالمين ورحمةٌ وفَخَار

قرآنُه ملءُ المسامع حكمةً ::: آياتُه الفصحى هُدًى ومنار

لــم تســتطع صــوغاً لمثــل بيانــه ::: إنـــسٌ وجـــنٌّ عزمُهـــا الأقـــدار
الله أنزلـــه علـــى نـــور الهـــدى ::: لمـــا تعبَّـــدَ واحتـــواه الغـــار
هُـــزَّتْ جوانحُـــه لـــدعوة ربـــه ::: وســـرى بجســـم محمـــدٍ تيـــار
جبريــل جــاء مبلِّغــاً وحْــيَ الســما ::: تحـــدو خطـــاه ملائـــكٌ أطهـــار
فــي موكــب النــور انبــرَى متألقًــا ::: فرنـــتْ لموكـــب نـــوره الأبصـــار
الحــق جــاء فــلا حيــاةَ لباطــلٍ ::: كــــلاّ ولا كفـــــرٌ ولا كفـــــار
الله أكبـــر واحـــدٌ فـــي عرشـــه ::: ربُّ الجميـــع مهـــيمنٌ قهـــار
نــادى بهــا بــين الجمــوع رســوله ::: فغـــدتْ تهـــزُّ كأنهـــا إعصـــار
قلعــتْ جــذور الــلات والعــزى وقــد ::: زالا فلـــيس علـــى الثـــرى آثـــار
والبيــت طُهِّــر مــن ضــلالاتٍ فــلا ::: صـــنمٌ ولا وثـــنٌ ولا أحجـــار
حمــل الرســولُ العــبءَ أول بعثِــهِ ::: ثــم اســتوى مــن حولــه الأبــرار
هــم قلَّــةٌ إنْ جئــتَ تحصــي عــدَّهم ::: لكـــنهم فـــي المكرمـــات كِثـــار
نَفَــخَ ابــنُ عبــد الله فــيهم روحَــه ::: فـــإذا بهـــم فـــوق الزمـــان كبـــار!
وإذا بهـــم خيـــرُ الـــولاة عدالـــةً ::: وإذا قياصـــرةُ الزمـــان صـــغار!
خضــعتْ لهــم قســراً جبــابرة الــورى ::: وَبَنَـــوْهُ حكمًـــا مـــا عليـــه غبـــار
ضــرب الرســولُ لهــم مثــالاً طيبــاً ::: فترسَّـــموا دومـــاً خطـــاه وســـاروا
مــن يتبــعْ ســننَ الرســول فبــالغٌ ::: أوج العـــــلا لا يعتريـــــه عِثـــــار
يــا أمــةَ العُــرْبِ اقتــدي بمُحمَّــدٍ ::: بـــاني كيانـــك يـــوم عَـــمَّ دمـــار
جَمَــعَ الصــفوفَ وقــد تشــتتَ شــملُها ::: وأزيلـــتِ الأحقـــاد والأكـــدار
كــوني كمــا شــاء الرســول قويــةً ::: كيمـــا تُـــرَدَّ عـــن الحمـــى أخطـــار
تيهــي علــى أمــم الــورى بمحمــدٍ ::: فهـــو الـــزعيم ودينُـــه المختـــار
تيهـــي إذا جعلـــوا الـــدماء مراتبـــاً ::: للفضـــلِ، أو أغـــواهمُ اســـتكبار
فــرعٌ أشــمُّ نمــاه فيــك مُحمــدٌ ::: وعلـــى جبينـــك مـــن هُـــداه الغـــار
فــي يــوم مــيلاد الرســولِ تهلَّلَــتْ ::: فينـــا النفـــوس وغـــرَّدتْ أشـــعار!

* * *

يا نبيّ الله

الشاعر السوري/ يوسف حنا العيد (١٨٩٩ - ١٩٧٦م) صاحب «ديوان العيد»، تدور معظم قصائده حول المناسبات الاجتماعية والوطنية والدينية، وله قصائد عديدة في المديح النبوي، تكشف عن توجهه القومي ونزعته الإيمانية، ألقاها في المناسبات الدينية، وله قصائد في التعبير عن جهاد الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي، وأخرى في رثاء أعلام عصره. وله عدة مؤلفات، منها: «شعلة الوطنية»، و " العرب هكذا رأيتهم "، و«هؤلاء أضاعوا فلسطين»!

تلقى الشاعر " يوسف حنا " تعليمه بالمدرسة اليسوعية بدمشق، ثم بالكلية البطريركية الأرثوذكسية، لكنه سرعان ما عاد إلى قريته، واعتمد على تثقيف نفسه ذاتيًا، بعد أن أغلقت الكلية أبوابها؛ بسبب الحرب العالمية الأولى. ثم هاجر إلى الأرجنتين عام ١٩٣٠م، وزاول هناك مهنة التجارة، وأصدر مجلة ثقافية شهرية باسم «الوحدة العربية». يقول في قصيدة: (يا نبيّ الله):

اللهُ أرسلَه رسولاً أحمدا ::: فأطاعَه مُستشهِدًا وموحِّدا
ومشتْ به روحُ العُلا إذْ بدَّدت ::: في الجاهلية مُشتَهاها المفسِدا
للهِ أشهدُ يا نبيَّ الله أنَّ ::: اللهَ أعطاكَ النبوَّة للهدى
يا فلتةَ الأدهارِ أنتَ نبيُّها ::: أُرسلتَ من لَدْنِ المكوِّن مُنجدا
يا سيِّد الأسياد والدين الذي ::: ردَّ الضليلَ عن الضلالة فاهتدى
وأقام دينًا بالتسامح شاملاً ::: وإلى الطّغاة أقامهُ متوعِّدا
لولاك ما قام المؤذن صادحًا ::: اللهُ أكبر سبِّحوه أوحدا
فتَمُوجُ أنغامُ المؤذن بالسَّما ::: والأرضِ تهليلاً يردِّده الصَّدى
وترنُّ أجراس الملائك للعلا ::: وتُجوِّد القرآنَ لحنًا أجْودا
وتُباركُ الأميَّ والأرضَ التي ::: منها بدا وذكاءَه المتوقِّدا
وأمينَها ورسولَها وبشيرَها ::: ومشيِّدَ الدين الحنيف محمَّدا
وعجيبةٍ ترنو لها متحيِّرًا ::: فترى رتاجَ السرِّ دونك مُوصدا
وسعادةُ الدارين في الدين الحني ::: فِ إذا وَعيْتَ كتابَ ربِّك مُنشِدا

وتُقيـلُ فَلتـاتِ اللسـانِ مـن الخنـا ::: وتعلِّـمُ الـدنيا المـروءةَ والنـدى
وتُطهِّـر الأرواحَ مـن أدْرانِهـا ::: وتُميـتُ فيهـا مـا التهـوُّدُ أفسـدا
الصُّـفرُ والبيضـانُ والسـودان مـا ::: أضـحَوْا لبعضِـهم إمـاءً أعْبُـدا
وتمـرُّ فـي حِـرص الضَّـنين وتـزْدري ::: فيـه فيغـدو بالمَضـنَّةِ أزهـدا
وتجـولُ عيناهـا علـى فـذّ المكـا ::: رِمِ بالرضـا فيمـا عليـه تعـوَّدا
والمـرءُ إنْ رام الفضـائلَ منهجًـا ::: يَسْتصـغرُ الـدّنيا ويهجـو العَسْـجدا
فكأنَّـه أغنـى مليـكٍ بـالثَرا ::: يُمسـي ويصـبح بالمكـارم أَسْـعدا
هـذي نبوّتـك التـي الله اصـطفا ::: كَ لهـا نبيّـاً للخليقـة مُرشـدا

* * *

النبيُ القرشيُ

يُعدُّ الشاعر والأديب اللبناني الكبير/ مـارون عبـود - من أعلام الثقافة في لبنـان، وأحد أعمدتها الأدبيـة، وواحد من رموزها الفكريـة، فقد أثرى المكتبة بأكثر من ستين كتاباً في مختلف المعارف، ونال كثيراً من الأوسمة والنياشين. كتب قصيدة طويلة يمدح بها رسول الإنسانية الأكرم، ومعترفاً بعظمة القرآن الكريم المُعجِز! الذي صاغ أُمَّة الإسلام التي نشرت رسالة الهدى والنـور... يقول فيها:

لــولا كتابــكَ مــا رأينــا مُعجِــزاً ::: فـــي أُمَّـــةٍ مرصوصـــةِ البنيـــان
حملـتْ إلـى الأقطـار مـن صـحرائها ::: قـبس الهـدى ومطـارف العمـران
هـــادٍ يصـــوِّر لـــي كـــأنَّ قوامــه ::: مُتجسِّـــدٌ مـــن عنصــرِ الإيمـــان

ليس هذا فحسب؛ بلْ إنـه كتب قصيدة بلغت سبعين بيتاً، مدحاً في نبي الإسلام ورسالته، بلْ بلغ به الحب مبلغه، فسَمَّى ابنه على اسم الرسول الأعظم (مُحمَّد)! وفي هذا يقول مارون عبّود: " رُزِقتُ ولداً فسمّيته محمداً، فقامت قيامة الناس، فريق يستهجِن ويقبّح ويكفّر، وفريق يوالي وينتصر، وكان أوّل من قدر هذا العمل وأعجب به أشدّ الإعجاب، صديقي المرحوم أمين الريحاني، ونظمت هذه القصيدة:

عشـــتَ يـــا بنـــي، عشـــتَ يـــا خيـــر ::: صـــبي ولدتـــه أمـــه فـــي «رجـــبِ»
فهتفنـــــا واســـــمُهُ محمـــــدٌ ::: أيهـــــا التـــــاريخ لا تســـــتغربِ
خَفّـــفِ الدهشـــةَ واخشـــعْ إن ::: رأيـــتَ ابـــنَ مـــارونٍ ســـميّاً للنبـــي
فـــالنبيُّ القرشـــيُّ المصـــطفى ::: آيـــة الشـــرق وفخـــر العـــربِ
يـــا ربـــوع الشـــرق اصـــغيْ واســـمعي ::: وافهمـــي درســـاً عزيـــز المطلـــبِ
يـــا بنـــي اعتـــزَّ باســـمٍ خالـــدٍ ::: وتـــذكّرْ إنْ تعـــشْ، أوفـــى أبِ
جـــاء مـــا لـــم يأتـــهِ مـــن قبلـــهِ ::: عيســـويٌّ فـــي خـــوالي الحقـــبِ
فأنـــا خصـــمُ التقاليـــد التـــي ::: ألقـــتِ الشـــرقَ بشـــرّ الحَـــرَبِ
بخرافـــاتِهِم اســـتهزئ وقـــلْ: ::: هكـــذا قـــد كـــان مـــن قبلـــي أبـــي

وغــداً يــا ولــدي، حــين تــرى ::: أثـــري مُتبَّعـــاً تفخـــر بـــي!
بـكَ قـد خالفـتُ يـا ابنـي ملّتـي ::: راجيـــاً مطلـــعَ عصـــر ذهبـــي
عصـــر حريـــة شـــعبٍ نـــاهضٍ ::: واتحـــــادٍ لبقايـــــا يَعـــــرُبِ
حبّـــذا اليـــوم الـــذي يجمعنـــا ::: مــن ضــفافِ النّيــل حتــى يثــربِ
ونحيّـــي علمَـــاً يخفـــقُ فـــوقَ ::: منـــارات الـــورى والقبَـــبِ
ليتـــه يـــدرك مـــا صـــادفته ::: عنـــدما ســـمّيته، مـــن نصـــبِ
لـو درى فـي المهـدِ أعمـال الألـى ::: حـــركتهم كهربـــاء الغضـــبِ
لأبـــى العـــيش وشـــاءَ المـــوت ::: فــي أمّــةٍ عــن جِــدّها فــي لعــبِ!
كــمْ وكــمْ قــد قيــلَ مــا أكفــرَه ::: ســوف يصــلى النــارَ ذات اللهــبِ!
إن يشـــنّع بابنـــهِ لا عَجَـــبٌ ::: فهـــو غـــرٌّ كـــافرٌ لا مـــذهبي
لا تصـــدّق قـــولَهم يـــا ولـــدي ::: إن فيمـــا قِيـــل كـــلَّ الكـــذبِ
إنَّ حـــبّ النـــاس دينـــي ::: وحيـــاةَ بـــلادي باتحـــاد أربـــي
فكتـــابي العـــدلُ مـــا بـــين الـــورى ::: فـــي بـــلادٍ هـــيَ أمُّ الكتـــب
فـــاتّبع يـــا ابنـــي أبـــاً ابغّضَـــهُ ::: وجفـــاهُ كـــلُّ ذي ديـــنٍ غبـــي
فهـــمُ آفـــةُ هـــذا الشـــرقِ مـــذ ::: حكمـــوهُ بضـــروبِ الرعـــبِ
جعلـــوا الأديـــانَ معـــراجَ العلـــى ::: ومشَـــوا فـــي زهـــوهم فـــي موكـــبِ
شـــرّدوا«أحمـــد» عـــن مضـــجعه ::: فســـرى ليلتَـــهُ فـــي كـــربِ
ودّهـــوا عيســـى لمـــا علَّمـــهُ ::: وهـــو لـــولا كيـــدهم لـــمْ يُطلَـــبِ
فـإذا مـا مـتُّ يـا ابنـي فـي غـدٍ ::: فـــاتبع خطـــوي تفـــزْ بـــالأربِ
وعلـــى لحـــديَ لا تنـــدب وقُـــلْ ::: آيـــةً تـــزري بـــأغلى الخطـــبِ
عـــاش حـــراً عربيـــاً صـــادقاً ::: وطـــواه اللحـــدُ حـــراً عربـــي!

* * *

سيد المُرسَلِين

الشاعر السوري/ نصر سمعان (١٩٠٥ - ١٩٦٧م) تلقى مبادئ العربية في قريته، ثم التحق بالمدارس العلمية الأرثوذكسية في حمص، ثم هاجر إلى البرازيل. كان عضوًا في العصبة الأندلسية، وفي النادي الحمصي، وكان له نشاط شِعري ملحوظ فيهما.

ارتبط كثير من شِعر (نصر سمعان) بالمناسبات، خاصة الاجتماعية والوطنية، وكانت المناسبات لديه مجرد إطار يستثمره للتعبير عن مشاعره تجاه وطنه والثورة على الظلم. وقد حافظ على الإطار التقليدي للقصيدة العربية. وتتجلّى في قصائده قوة الإيمان بالعروبة والحنين إلى الأوطان وبسط ما فيها من تخلف وتعصب، كما كشفت قصائده عن خبراته بالحياة وفلسفته فيها... يقول في قصيدته (سيد المرسلين) التي أنشدها في عيد المولد النبوي عام ١٩٣٦م:

كوكبٌ رحَّب الوجودُ به يو ::: مَ تجلّى على الوجود شُعاعُهْ
كُلّما مرّتِ العصورُ وغارت ::: في مهاوي الزمان زاد ارتفاعه
لا تسل عن «محمّدٍ» واغبط الدن ::: يا، فأغلى كنوزها أوضاعه
شهد الله أننا في سبيل ال ::: حقّ والمجد كلُّنا أتباعه
ضلَّ من ينسب السُّموَّ لعقلٍ ::: آلة الشّر والهلاك اختراعه
إنّما المجدُ حكمةُ المتنبّي ::: ومعانٍ وشّى حَلاَها يراعه
سيِّدَ المرسلين قُمْ وتأمّلْ ::: كيف نامت عن العرين سباعُه
غفلةٌ أيقظت مطامع من أفْ ::: عَمَتِ الشَّرق بالأذى أطماعه
هَدَّدَتْ شعبَك المنونُ فلمّا ::: زمجرت مات حقدُه ونزاعه
فتح الأرزُ قلبَه لصَبا الشّا ::: مِ، وناغى سجّاعَها سجّاعُه
وهزيج الشهباء حفَّ له النيـ ::: ـل، وماجت وهادُه وقِلاعُه
عرض الحقّ والنفوس غوالٍ ::: ولكم طاب للنفوس ابتياعه
أي شيء كالحقّ يسهل في الدن ::: يا على زُمرة الطّغاة ابتلاعه!
هو ذا القدس في الجهاد وأشلا ::: ءُ بنيه حصونُه وقلاعه
صانَها الله أمّةً تدفع الظا ::: لمَ عنها فتنبري أشياعه
ألحفَ الدهرُ بالخطوب عليها ::: واستطابت أنينَها أسماعه
حَسْبُها منك شعلةٌ غمر الكو ::: نَ سناها وضاق عنها اتّساعه!

* * *

النبيّ العربي الكريم

الشاعر السوري (إلياس قنصل) من شعراء المهجر الجنوبي، وهو من الأدباء المسيحيين الكبار الذين أشادوا بعظمة رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم، كان حريصاً على مشاركة المسلمين في مختلف احتفالاتهم الدينية؛ وظل يدعوهم إلى الوحدة والتضامن، ونبذ الجهل، ومحاربة الفقر.. وينعى على الأمة أن تشغل نفسها بالاحتفالات والمهرجانات، وهي فريسة لأعدائها، الذين حولوها إلى أشلاء ممزقة، فيقول في إحدى قصائده:

رسولَ الله! عفوكَ؛ إنَّ عدلي لتنبيه النفوسِ الغافلات
كتابكَ زينةُ الأجيال تزهو بمعجزِ آيهِ أمّ اللغات
ودينكَ نعمةٌ في الكون ضاعت فنوَّرتَ النواحي المظلمات
تكرَّم يا إله العرشِ واجعلْ بلاد العُربِ للعربِ الأُباة!

اشتُهر (إلياس قنصل) بالمطوّلة العجيبة التي سمَّاها (النبيّ العربي الكريم) وطبعها مستقلة في ٣٢ صفحة، افتتحها بمقدمة قال فيها: " قرأت لأحد الكُتّاب مقالة، فإذا هي التحامل الكافر على الأُمة العربية، والتلميح الفاجر إلى جمودها لتمسكها بالقرآن الكريم.. فكررتُ إلى التاريخ أُراجعه مرة جديدة، وقرأتُ سيرة النبيّ الهاشمي صلى الله عليه وسلم فإذا بي - تارة أخرى - أمام دنيا من الأخلاق السامية والمواقف الجبارة، خططت للعالمين صراط الحق والهدى والعدالة الاجتماعية الصحيحة التي يبحث عنها الناس! أنا لم أُطالِع في سيرة الرسول حياة نبيّ دعا الناس إلى عبادة الواحد القهّار فحسب؛ وإنما طالعتُ فيها - إلى ذلك - استعراضاً لوقائع العزة والكرامة، وصوراً عما تستطيع أُمتنا أن تأتيه من الأفعال لوْ عمدتْ إلى الأخلاق العربية فجعلتْ منها النور الذي يهديها سواء السبيل. واستعرضتُ أعمال الذين يدَّعون أنهم يقودون العالم إلى رياض السلام والطمأنينة فلم أجد إلاَّ أظافرهم تمزق المقدسات الإنسانية، والكذب والخداع فيما يبدون وفيما يكتمون... فكانت قصيدتي هذه " !

استهلَّ " إلياس قنصل " قصيدته بسؤال استنكاري، ثم انتقل إلى الحديث عن وقائع من السيرة العطرة، وثبات الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته، والتصدي لإغراءات القوم التي عرضوها عليه من مالٍ وجاهٍ وسلطان.. واختتم الشاعر قصيدته، معتذراً عما إذا كان قد قصَّر فيما كان يصبو إليه من مدح وثناء أوْ خانه التعبير في الوصول إلى الكمال الذي ينشده... فإلى القصيدة:

ماذا تهِمُّ طوارقُ الحدثان ::: خُلِقَ الجهاد لكلِّ ذي وجدان
الحقُّ شرعك فامضِ فيه مؤمّلاً ::: ما آبَ غير الكفر بالخذلان
عميتْ نفوسُ الناس من أهوائها ::: فأعِدْ جمال النور للعميان
لا فرقَ بين ملفّف بضلالهِ ::: وملفّفٍ بنواصع الأكفان
كمْ صرخةٍ خنقتْ أضاليلَ النهى ::: وقضتْ على الأوهام والطغيان
ظنَّ الذين توعدتهم، أنها ::: ضربٌ من الوسواسِ والهذيان
فتجمعوا لنزالها، وقلوبهم ::: بالشر نابضة، وبالأضغان

* * *

إنّي ذكرتُكَ يا مُحمّدُ مُصغياً ::: لحديثِ عمٍّ ناصحٍ حيرانِ
يغريكَ بالذهب الوفير وكَمْ عنتْ ::: للفِلْسِ من مُهَجٍ ومن أذهانِ
إنْ كنتَ تبغي أن تكون مسوّداً ::: جاءتْ إليكَ سيادة الأقرانِ
ما المالُ حين تقيسهُ برسالةٍ ::: عُلْويةٍ؟ ما المجدُ؟ ما القمرانِ؟
مَثَلٌ من الخُلُقِ الجليلِ تركتهُ ::: درساً لكلِ مناضلٍ متفانِ

* * *

إنِّي ذكرتكَ يا مُحمَّدُ والعِدَى ::: يتألّبون تألّبَ الذؤبانِ
ضَرَبَتْ على أبصارهم وقلوبهم ::: ليلَ الفسادِ أصابعُ الشيطانِ
ويقضُّ تالد جهلهم وغرورهم ::: صوتٌ يفتِّحُ مغلقَ الآذانِ
فيلاحقونك بالتراب وبالحصى ::: وبكل وغدٍ حانقٍ شنآنِ
وتظل تدعو لا تني لك هِمّة ::: حتى يتمَّ النصرُ للديّانِ
فرأيتَ معجزة العزيمة والرجا ::: دنيا.. تذلُّ لقوة الإيمانِ

* * *

إنِّــي ذكرتــكَ يــا مُحمَّــد مُســدياً ::: نعـمَ الخطـابُ إلـى ذوي السـلطانِ
تملـي علـى التيجـان وحيـك ناصـحاً ::: بالرشــد، والإصــغاءِ، والإذعــانِ
لـمْ يسـمعوا قبـل انتبـارك لهجـةً ::: إلاَّ وفيهــا حِطَّــةُ العُبــدانِ
أيـن السـلاح؟ وأيـنَ أيـن جيوشـه؟ ::: خـوضُ الـوغى وقـفٌ علـى الفرسـانِ
واســتكبروا مســتهزئين بــدعوةٍ ::: لا تحتمــي بمهنَّــدٍ وسِــنانِ
ويــدور دولاب الزمــان مهيئــاً ::: عبــر الــدهور! فيلتقـي الجيشـانِ
جـيش يحـارب للسـماء، وآخـر ::: كثــرتْ ذخــائره لشــيءٍ فــانِ
فتهـلُّ مـن أفـق الكفـاح خـوارق ::: ليســت خــوارقَ غــارةٍ وطِعــانِ
كســرى يمــرغ بالمذلــة رأســه ::: وأذلُّ منــه عاهــل الرومــانِ
والحــاكمون المعجبــون بظلمهــم ::: فــي كــل ناحيــةٍ، بــلا أعــوانِ
والنصــر فــي كــف العروبــة رايــة ::: بالعــدلِ خافقــةٌ وبالعرفــان

* * *

إنِّــي ذكرتــكَ يــا مُحمَّــد ناشــراً ::: روحَ الأَخــوةِ فــي بنــي الإنســانِ
يعلـو (بـلال) العبـد أشـرف قُبـةٍ ::: ليــذيعَ منهــا أشــرف الألحــانِ
حــق المواهــب أن يُقــدَّرَ أهلهــا ::: لا فــرقَ فــي الأجنــاسِ والألــوانِ
والحكــم للأعمــال، فاســعَ بغيْــرةٍ ::: تــرجحْ بفضــلكَ كِفَّــةُ الميــزان

* * *

إنِّــي ذكرتــكَ يــا رســولَ مقــابلاً ::: أســراكَ: أسـرى الشَّـكِ والعصـيانِ
لـمْ يظفـروا بـكَ مثلمـا رغبـوا، ولـوْ ::: ظفــروا لجــدِّ الحقــدِ بالغليــانِ
وظفِـرتَ أنـتَ، فلـمْ تشـأْ تجـريمهم ::: أوْرِيْــتهم بمعــرَّةٍ وهــوانِ
مـا كـان صـفحكَ صـفحَ واهٍ خـائفٍ ::: بـلْ كـان صـفحَ القـادرِ المحسـانِ
بعـثَ الـرميمَ عجيبـةً، مـا مثلهـا ::: إلاَّ نبالــة ذلــك الغفــرانِ
مــاذا أُعــدِّدُ مــن مناقــبَ، كلهــا ::: شـرفٌ، أعـدَّ الـنجم فـي إمكـان؟
مَــنْ ذا يضــمُّ بكفِّــهِ بحــراً لــه ::: أفــقٌ تزيــغُ لبعــدهِ العينــان؟
كانــت حياتــكَ كــلُّ ثانيــةٍ لهــا ::: تــاريخُ مجــدٍ طائــلٍ نــوراني
عالجتَ بالحسنى، ومُذْ شَمَخَ العِّدا ::: بمحــالهم، عالجــتَ بــالمرّانِ
مــا كــلُّ نفــسٍ بالحقيقـةِ تهتـدي ::: بعــض النفــوسِ تقــادُ بالإرســانِ
يجنــي الطبيــبُ إذا رثــى لمريضــهِ ::: كـمْ جـرَّ زورُ العطـفِ مـن خسـرانِ!

وإذا بنيتَ على أساسٍ عاطلٍ ::: ظهر البناء مزعزع الأركان
كانت قلوبُ المشركين مخابئاً ::: للجهلِ، والشهواتِ، والعدوانِ
فهدَمْتَهَا، وأمِنتَ من عثراتها ::: ضاع الرجاءُ لعابد الأوثانِ
وبنيتَ أعظمَ دولةٍ نشرتْ على ::: قاصي الوجودِ صلاحها والداني
إنْ غاب بعضُ روائها، فلأننا ::: نحن المصادرُ، لا الزمانُ الجاني!
لم نمتثل لك بالفِّعال، ولمْ نَلُذْ ::: بهداكَ، يوم تحاملَ القرصانِ
فتخاذلتْ أخلاقنا، وأصابنا ::: ما لا يقاسُ بمعضلِ السرطانِ

* * *

يا للعروبةِ! هلْ تفوزُ بقائدٍ ::: يدعو، فتسمع نخبةُ الفتيانِ
فيقدُّ أوصال القيودِ حسامه ::: ويسلُّ روحَ العابثِ الخوَّانِ
ويعيدُ للوطن العزيز كرامةً ::: كادتْ تكون قسيمة النسيان!
هيَ نهضةٌ لولا كريمُ وجودها ::: ظلَّ الخلودُ يُعابُ بالنقصان!
جفّتْ محابرهم بنفي جهادنا ::: وعلى جوانبهِ النجيعُ القاني
من كان في حجر الأفاعي ناشئاً ::: غلبتْ عليه طبائعُ الثعبانِ
نظروا إلى الإسلام أعمق نظرةٍ ::: وتدارسوه تدارس الإمعانِ
فرأوه يدعو للإباء مهدداً ::: بالنارِ كلَّ مذبذبٍ وجبانِ
ويشلُّ أسباب الخنوع مزلزلاً ::: ما فيه من أُسٍّ ومن جدرانِ
فتخوفوا إصغاءنا لملامه ::: وملامهُ تحريكُ شعبٍ وانِ
ما يهدمون، وليس في لهواتهم ::: إلاَّ لهيبُ الإفكِ والبهتان
ما يهدمون وقد كسا آراءهم ::: داءُ السياسةِ أخبثَ الأردان!
ما يهدمون وللجحيم جهودهم ::: ما يهدمون، ولطف ربِّكَ بانِ!
يا منْ يثيرُ حماستي بكمالهِ ::: عذراً إذا شاهدتَ ضعف لساني
هي باقةٌ تُهدى إليكَ زهورها ::: من خير ما يزهو به بستاني
فإذا أعدَّ الحاسدون أظافراً ::: عانيتُ كامنَ حقدها، وأعاني!
فليغنموا صبري فإني مُغمِضٌ ::: عن شرهم، وصغارهم أجفاني
وليسمعوا فصل الخطاب، فليس في ::: سرِّي سوى ما جاء في إعلاني
ما أبعدَ الإيذاءَ والتلفيق عن ::: حُرٍّ كريمٍ من بني غسَّانِ
تأبى عداء الأقربين عروبتي ::: ويعفُّ عن لغو الكلام بياني!

أنوارُ هادي الورى

الشَّاعر والموسيقِي السوري/ ميخائيل بن خليل خير الله ويردي - (١٩٠٤ - ١٩٥١م) حصل على الشهادة الثانوية، وعملَ محاسباً في المحلات التجارية. ثم درس الحقوق، وعُيِّن خبيراً لدى المحاكم. أتقن فن التصوير الشمسي، وكان مولعاً بتعلّم اللغات الأجنبية كالتركية والفرنسية واليونانية والروسية، حتى صار من كبار مثقفي عصره، كما درس الموسيقى وتعلَّم العزف على العود، وشارك في تأسيس النادي الموسيقي السوري، والرابطة الموسيقية في دمشق، وعُيِّنَ مستشاراً موسيقياً في المعهد الموسيقي الشرقي التابع لوزارة التربية. وقد أسهم كتابه " فلسفة الموسيقى الشرقية " (١٩٤٧) في إبراز عدد كبير من جوانب الموسيقى الشرقية، وقدَّم فيه حلولاً موسيقية حول الإشكال في الموسيقى العربية، وذلك في مؤتمر القاهرة الموسيقي الأول عام ١٩٣٢، وحاز - هذا الكتاب - على تقدير منظمة اليونسكو. كما رُشِّحَ كتابه (فلسفة الموسيقى الشرقية) لجائزة نوبل سنة ١٩٥١م. وقد كرّمت وزارة الثقافة والإرشاد القومي السورية ميخائيل ويردي بعد وفاته بمنحهِ وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الأولى تقديراً لخدماته في مجالات الأدب والموسيقى وما كتب حول أثرهما في السلام.

ليس هذا فحسب؛ بلْ ألَّفَ - ميخائيل ويردي - في الموسيقى كُتباً أخرى، مثل كتابه: " الموسيقى في بناء السلام " الذي تُرجِمَ إلى الإنجليزية والفرنسية، و " جولة في علوم الموسيقى العربية "، و " شيء من الموسيقى العربية ".

هذا، وقد اضطلع بتأليف عدد آخر من الكتب في مجالات مختلفة، مثل كتابه: " العروبة والسلام " (١٩٥١) الذي تُرجِمَ إلى الإنجليزية، و " الأدب في بناء السلام ". وفوق ذلك كله ديوانه الشعري (زهر الربى) الذي يحتوي على ٤٥٠ قصيدة، و٣٩٠٥ بيتاً، والذي طبعه بعد أن زار مسجد محمد علي باشا بالقاهرة ١٩٤٦م وأُعجِبَ هناك بالفنون الإسلامية وروعتها.

ثقافة الشاعر

لأول وهلة؛ يستطيع القارئ لشعر " ميخائيل ويردي " أن يقف على مفتاح شخصيته، وثقافته المتنوعة، وأغراضه الشعرية المتعددة، ونفسيته المتسامحة، وخياله الواسع، وبيانه العذب المُرصَّع بالحِكَمِ والأمثال. ولِمَ لا؟! فهو الأديب، العليم باللغات، وعالِم الموسيقى، وعاشق التصوير، نلمس ذلك في قوله عن رسالة الفن والشِّعر في الحياة:

مِنَ الشِّعر ما يبدو كضربٍ من السِّحرِ ::: وما الفنُّ إلاَّ نفحةُ اللهِ في الفكرِ !

بلْ يذهب - الشاعر - إلى أبعد من ذلك، حين يرى الفقير هو فقير الفن والأدب، حتى وإنْ حاز الكنوز النفيسة والجواهر الثمينة، فيقول:

هام الجهولُ بجمع الماسِ والذَّهبِ ::: وعاش مُفتقِراً للفنِّ والأدبِ!

ونراه يصف الشِّعر بالروح الحيَّة السارية المتوشِّحة بقلائد المعاني الجميلة والألفاظ البديعة، وذلك في قوله:

أخلِقْ بفكرِكَ أنْ يحيا مع الشُّهُبِ ::: مُنزَّهاً عن هوى الأوهامِ والرِّيَبِ

فالشِّعرُ روحٌ سعى حتى ارتدى حُللاً ::: لفظيةً فاستحقَّ السجن في الكُتُبِ!

ولعلَّ من أبرز الخصائص النفسية التي يتمتع بها - الشاعر - خُلُق التسامح والعفو، ولِين الجانب، ورِقَّة القلب، حتى مع خصومه وأعدائه! وقد أفصح عن ذلك في قوله:

تعوّدتُ حُبّ الصفحِ عن كلِّ مُذنبٍ ::: فظنّ العِدى أنِّي أعفُّ لمأربِ

فجازاهم القاضي بعكس الذي به ::: جزاني وأمستْ رِقّة القلبِ مذهبي!

وكثيراً ما يدعو - الشاعر - إلى السِّلْم والوحدة والتضامن الأخوي، باعتباره أغلى ثروات الشعوب والأمم.. وقد ألّف عدة كتب حول هذا الموضوع، مثل: الأدب في خدمة السلام، والعروبة والسلام، والموسيقى والسلام. وقد تباهى - الشاعر - بانتسابه لأمةٍ لها تاريخ حافل بأخلاق التسامح والرحمة التي لمْ تعرف الدنيا لها مثيلاً، فقال:

تــدلّ علــى نُبــل الكِــرامِ الملامــحُ ::: وثـــروتهم يـــوم الفخـــار المـــدائحُ
وكـمْ أُمـةٍ لـمْ تجمـع المـالَ خلّفـتْ ::: مـن النفـع مـا تهفـو إليـه الجـوانحُ
غِنانـا اتحـادُ العُـربِ فـي ظـل وحـدةٍ ::: تُعلّـمُ أهـل الأرض كيـف التسـامحُ!

ولا يرى - هذا الشاعر المسيحي - أن العروبة مجرد وطن وجدود، ولا هي تقف عند حدود اللغة المشتركة، بلْ هي أبعد وأهم من ذلك بكثير؛ إنها وشائج دينية متينة، يظللها (التوحيد) الذي هو الوصية الأولى في رسالات السماء، فيقول:

قِيــلَ العروبــةُ مــوطِنٌ وحــدودُ ::: وعوائـــلٌ منســـوبةٌ وجـــدودُ
وأضــاف قــومٌ أنهــا لغــةٌ سَــمَتْ ::: ببيانهـــا والمنصِـــفونَ شـــهودُ
وأجبــتُ بــلْ هــي فكــرةٌ موضــوعةٌ ::: للخلْــقِ أجمَــعَ قصــدها التوحيــدُ!

بلْ يذهب - ميخائيل ويردي - إلى أبعد من هذا، عندما يُلِحُ في دعوته على معاني الإخاء والمحبة الإنسانية، تحت راية الدين، وأنوار النبوات.. يبدو هذا في قوله:

تــآخوا كمــا قــال المســيحُ وأحمــدُ ::: فمــا الحُــبُّ إلاَّ ثــروةٌ لا تُحــدَّدُ
وإنْ هــامَ قــومٌ بــالثرى فبلادنـــا ::: لهــا فــي مجــال الــروحِ إرثٌ مُخلّــدُ
فواجبنـــا اســـتثمارهُ ثـــمّ نشـــرهُ ::: علــى النــاسِ طُــرّاً فالإخــاءُ يُوحِّــدُ

ونظراً لأنَّ - الشاعر - رجل تربوي في المقام الأول، لذلك كرَّسَ مفاهيم التربية والأخلاق الحميدة في المجتمعات، ودعا إليها كثيراً في أشعاره، حيث يصورها كأشجار مثمرة تنمو وتمتد أغصانها كلما تعهدها صاحبها بالرعاية، فيقول في ذلك:

هــي الأخــلاقُ تنبــتُ كالنبــاتِ ::: وتنمـــو باعتنـــاء الوالـــداتِ
تزيـــدُ رياضُـــها بـــالرّيّ حُســـناً ::: إذا سُـــقِيتْ بمـــاء المكرُمـــاتِ
تقـــوم إذا تعهّـــدها المربـــي ::: وغـــذّاها بآيـــاتِ الهُـــداةِ
وتبـــدو مثـــل أغصـــانٍ تـــدلَّتْ ::: علـــى ســـاق الفضـــيلة مُثمـــراتِ

كما نظم - الشاعر - أروع وأعذب قصائده في (الأمّ) التي هي وصية الأديان الثانية بعد وحدانية الله تعالى، ووصفها بأنها المدرسة الكبرى لتخريج الرواد والأساتذة، فقال فيها:

فحُضن الأُمِّ مدرسةٌ تسامتْ ::: بتخريج الأساتذة الثقاتِ

وأهل الرأي قد عهدوا إليها ::: بتربية البنين أوْ البناتِ

وحالُ الشّعب ليس تُقاسُ إلاَّ ::: بأخلاق النساءِ الوالداتِ

فما للأمهات جهِلنَ حتى ::: نبذنَ اليوم أسمى الواجباتِ؟!

كما أنَّ إلمام الشاعر بالثقافة الإسلامية، وتشرّبه بالمعاني الإيمانية، بدا واضحاً في غالبية أشعاره، التي تخللتها الاقتباسات والمضامين القرآنية، كقوله:

مَنْ ينصر اللهَ كان اللهُ ناصره ::: ومَنْ يحاربهُ لا يأمنْ مقادره

أوْ كقوله - في قصيدةٍ أخرى - :

كُلُّ يومٍ فيه للخلْقِ عِبَر ::: وأجَلُّ الناسِ قَدراً من ذَكَر

قُوتِلَ الإنسانُ ما أكفرَه ::: أهملَ الروحَ فأغواهُ الحَجَر

كيف ينسى عِظةً بالغةً ::: خطّها المولى جزاءً للبشر

وقد احتوى قاموس الشاعر على حظ وافر من شعر التأمل والحِكَم والمواعظ الجليلة، التي تحرك الخاطر، وتوقظ الغافل، وتحثّ على الاعتبار، والوقوف عند معالم الحق وحدوده، ففي دعوته إلى إقامة العدل وتحقيق المساواة، ينادي قائلاً:

يا ابن القُساةِ اتَّعِظ بالموتِ والنار ::: وارضَ النظامَ الذي يرضى به الباري

أتشربُ الدمعَ من أحضان مُنتحِبٍ ::: وتستلِذُ أنينَ الجائعِ العاري!

وللشاعر قصائد عديدة في المناجاة والتضرع والابتهالات والتسابيح، التي يتوجّه بها إلى الملِك القدوس بارئ السماوات والأرض، منها قوله:

عرفتُك يا قدّوسُ جُهد استطاعتي ::: وضاقتْ بإدراك الكمال وسيلتي

فهبني بإقراري بلوغ سعادتي ::: ووجِّه إلى نفع العبادِ مشيئتي

فن التشطير

نجح الشاعر/ ميخائيل ويردي - يرحمه الله - في إحياء فن (التشطير) عن طريق " التخميس "؛ وهو جعل البيت مُقطَّعاً من خمسة أشطر بدلاً من اثنين، وذلك بإضافة ثلاثة أشطر إلى البيت الأصلي. وقد اختار - ميخائيل - أجمل ما أبدعت قرائح الشعراء الكبار، فقام بمعارضتهم، أمثال: بشّار بن برد، وأبي تمام، والبحتري، والمتنبي، وأبي العلاء.. والبارودي، وشوقي، وحافظ، وغيرهم، كقوله في معارضة المتنبي:

إنّ الحياة وما فيها من العجب
تُغري بني الجهلِ باللّذات والنشبِ
ولستُ منهم فنورُ العِلْم كان أبي
أنا الذي نظرَ الأعمى إلى أدبي
وأسمعتْ كلماتي من به صممُ

وكذلك قوله:

تُردّ المعالي ما يود المهاجم
وتستعبد الأهواء من لا يقاوم
فذللتها والمكرمات تمائم
على قدر أهل العزمِ تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكِرام المكارم

وقوله أيضاً:

تملّكَ النفسَ قصدٌ لستُ أملكه
وأتعبُ الناسِ منْ في الوهمِ مسلكهُ
فصُنْ دمَ الفكرِ فالأهواءُ تسفكهُ
ما كلّ ما يتمنّى المرءُ يدركهُ
تجري الرياحُ بما لا تشتهي السفنُ

وقولـه - كذلك - :

علـــم ســـــواك الصــــدق تكســــب اجــــرهِ
فــــالحقُ يفضَـــحُ مـــــنِ يُمثـــلُ دورهِ
ولَقَـــــد يقـــــال لِمَـــــنِ يعظِـــم قـــدرهِ
يـــا أيهــــا الرجـــلُ المعلّـــمُ غيــرهُ
هـــــلاّ لنفســـــكَ كـــــان ذا التعلـــــيمُ

ويقول في معارضته للإمام/ الشافعي، مادحاً آل البيت:

إلـــــيكم فـــــي جليـــــلِ الامـــــر يحــــتكم
ومـــــنكم فـــــاضَ نـــــورُ العــــدلِ والكـــرمِ
يــــا آلِ بيــــتِ رســـــولِ الله حـــبكّم
فــــرضٌ مـــــن الله فـــــي القـــرآن أنزلــــهُ
فانمـــا مجـــدكم بـــين الـــورى علـــمُ
يكفـــيكمُ مـــن عظـــيمِ الفخـــر أنكـــمُ
مـــنْ لـــمْ يُصـــلِّ علـــيكم لا صـــلاة لـــهُ

وللشـاعر مـدائح أخـرى كثيـرة، خاصـة فـي حـب آل البيـت الأطهـار، فيقـول مادحاً أحدهم - في قصيدة بعنوان (ماذا تقول بمدحكَ الشعراءُ):

مـــاذا تقـــولَ بمـــدحكَ الشـــعراءُ ::: وعُـــلاكَ ترفـــعُ أصـــلهُ الزهـــراءُ
واللهُ قـــد أثنـــى علـــيكم بالـــذي ::: قـــد شـــرَّفَ الثقلـــين منـــه ثنـــاءُ
آلُ الرسـولِ بكـم يبـينُ لنـا الهُـدى ::: ويـزولُ عـن عـين اليقـين غشـاءُ
نسـبٌ كمثـلِ الصـبح لاحَ لنـاظرٍ ::: مـا للصـباح عـن العيـون خفـاءُ
نفحـت مـآثرِك الزكيـةَ فـي الـورى ::: وتأرجَّـــتْ بشائـــك الأرجـــاءُ
وخلايــق المختــار فيــك تجمّعــت ::: فتشــــابه الأبنــــاءُ والآبــــاءُ
فنظـرتَ بـالنور المبـين إلـى المـدى ::: مـــا أدركـــت أثـــراً لـــه الزرقـــاءُ
وعِداكَ قد شهدوا بفضلكَ في العُلا ::: والفضـلُ مـا شـهدت بـه الأعـداءُ
والشـامُ أمسـتْ شـامة بـك نشـرها ::: كالمسـكِ يكبـو مـن شـذاه كبـاءُ
وبجاهــك الفضــلاءُ جــلَّ مقــامهم ::: وتشـــرَّفت بعلومـــكَ العلمـــاءُ

* * *

على هامش (نهج البردة)

تعد قصيدة (نهج البُردة) لميخائيل ويردي؛ معارضة استثنائية بكل المقاييس! فهي أول معارضة من شاعر مسيحي لقصيدة (الميمية) لأحمد شوقي!

وبنظرة سريعة إلى قصيدة - ميخائيل ويردي - نجده التزم بنهج المعارضات في المدائح النبوية الشهيرة، ففعل مثلما فعل أسلافه من شعراء المدائح كالبوصيري، والبارودي، وشوقي؛ فتغنّى كما تغنَّوا، ونسج على منوالهم.. فنراه يذكر موضع (جيران بذي سلَم) وما له من دلالة رمزية تاريخية، فاستهلّها بقوله:

أنوارُ هادي الورى في كعبةِ الحرمِ ::: فاضتْ على ذِكرِ جيرانٍ بذي سَلَمِ

وَذَمَّ الدنيا وزخارفها وفتنتها، وعاتب النفس ولامها على تقصيرها وجنوحها إلى الهوى، ثم دعاها إلى العودة إلى رشادها وهدايتها:

يا ليتَ أحلامَ عمري لم تضع بددا ::: بحُبِ قصرٍ من الأوهام منهدِمِ
فاربأْ بنفسكَ أنْ تنهار من ألمٍ ::: واربأْ بحُسْنكَ أن يربدَّ من سأَمِ

ويعرض الشاعر ما لاقاه (صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم) من معاداة قومه له، عندما دعاهم إلى التوحيد، ونبذ عبادة الأصنام.. فتحمّل الصبر طويلاً في سبيل تبليغ رسالة ربه، حتى أتمّ الدين وأكمل شرائعه على أحسن صورة:

وحَّدْتَ ربّكَ لمْ تُشرِك بهِ أحداً ::: ولستَ تسجدُ بالإغراءِ للصنمِ
عاديتَ أهلكَ في تحطيمِ بدعتهم ::: من ينصر اللهَ بالأصنام يصطدِمِ

وينعى - الشاعر - أصحاب الحضارات المادية البائدة (كالفراعنة والإغريق والرومان) وكيف آلتْ مآثرهم إلى زوال، وذلك بخلاف حضارة الإسلام الروحية التي مازالت حية معطاءة لمسيرة البشرية:

أبنـــاءُ بابـــلَ أفنـــتهمْ مآثمهـــا ::: وآلُ فرعـونَ مـا شـادوا سـوى الهَـرَمِ
وتـــدْمُرٌ ومغانيهـــا غـــدتْ خِرَبـــاً ::: والـذّكرُ بـالخيرِ غيـر الـذّكر بـالإرمِ
يـا ليـتَ مـن شـيدوها للفنـاء رأوا ::: عُقْبـى المبـاني فـأغنتهم عـن النّـدَمِ
زالـوا وزالـتْ مـع الآثـارِ عـزتهم ::: فـإنْ تجـادل سـلْ التـاريخَ واحـتكِمِ!
والمُصطَفى خالدٌ في الناسِ ما بَزَغَت ::: أُمُّ النُّجــومِ ومَمــدوحٌ بِكــلِّ فَــمِ

كذلك نراه يُلِحّ على الإشادة بإنسانيات الرسول صلى الله عليه وسلم، وعاطفته نحو البشر وسائر الكائنات، كما أفاض الشعراء السابقون في الوقوف عند هذا الجانب الإنساني العظيم:

ترعـى اليتـيمَ وترعـى كـلَّ أرملـةٍ ::: رعيَ الأبِ المُشْفِقِ الباكي من اليَتَمِ

كما مدح - الشاعر - خُلُق (الرحمة) الذي هو من أوضح أخلاق النبوة، فقال:

كأنّمـــا قلبـــهُ ينبـــوعُ مرحمـــةٍ ::: مستبشِـــرٌ جـــذلانُ بالنَسَـــمِ

وقولـه:

وَكُنـتَ أَرأفَ بالمسـكينِ مِـن دُوَلٍ ::: رَأتْ بِأَمثالِـهِ سِـرْبَاً مِـن الغَـنَمِ

وقولـه أيضاً:

في دينكَ السمحِ لا جنسٌ ولا وطنٌ ::: فكـل فـردٍ أخٌ يشـدو علـى عَلَـم

وأبدى - الشاعر - إعجابه الشديد بمنهج الرسول الدعوي؛ القائم على الموعظة الرقيقة والمجادلة بالتي هي أحسن، فقال:

أحببـتُ دينـكَ لمـا قلـتَ أكـرمكم ::: أتقـاكمُ وتركـتَ الحُكـمَ للحَكَـمِ
وقلـتَ إنـي هُـدىً للعـالمين ولـمْ ::: تلجأ إلى العُنفِ بل أقنعتَ بالكلِمِ

وقد فطِن - الشاعر - إلى سر نجاح الدعوة المحمدية، وأنَّ هذا السر يكمن في أن سيد الدعاة وأعظمهم (مُحمَّد صلى الله عليه وسلم) خاطب الناس على قدر عقولهم، فأحبوه، واتبعوه:

خاطَبتَ كُلَّ ذكيٍّ حَسبَ قُدرَتِهِ ::: وَلَمْ تَكُن بِغبيٍّ القَومِ بالبَرِمِ

ولمْ ينسَ - الشاعر - ما أسداه الرسول للمرأة من احتفاء وتكريم، لمْ تعرف الدنيا له مثيلاً، وسبق به حضارات الشرق والغرب، الزاعمين بأنهم أول من نادوا بكرامة المرأة وحقوقها:

عَزَّزتَ كُلَّ فَتاةٍ حِينَ صِحتَ بِنا ::: ما أَولَد العِزُّ غَيرَ السّادَةِ الحُشُمِ

فَأَنتَ أَوَّلُ مَن نادى بِمأثَرَةٍ ::: يَظُنُّها الغَربُ من آلاءِ بَعضِهِمِ

هذا؛ ولمْ ينسَ - الشاعر - أن يطلب (الشفاعة) من الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم في الآخرة، كما طلبها الآخرون من قبل، فقال:

فاجعلْ هواكَ رسولَ الله تلقَ بهِ ::: يوم الحسابِ شفيعاً فائقَ الكَرَمِ!

بلْ نراه يلحُّ على طلب الشفاعة، ويتوسَّل، قائلاً:

إنْ لمْ تكنْ بوكيلٍ فاشفعنَّ لنا ::: بحقِّ ترديدنا التوحيدَ في الحَرَمِ!

ومثلما ختم المادحون قصائدهم بالصلوات المباركات على خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم، اختتم (ميخائيل) أيضاً - قصيدته بالصلوات والتسليمات على النبيِّ الكريم صلى الله عليه وسلم، فقال:

صلّى الإلهُ على ذِكْراكَ مُمتدِحاً ::: حتى تؤمَّ صلاةَ البعثِ بالأُمَمِ

* * *

على جانب آخر؛ انفردت قصيدة " ميخائيل ويردي " بقسمات واضحة للعيان، لا تحتاج إلى عناء كثير، أوْ إعمال فكر، نظراً للبساطة والوضوح الشديد، الذي اتسمت به مقاطع القصيدة.. فامتازت بميزات فريدة عن مثيلاتها في هذا الغرض، منها:

اختلاف الاستهلال، فلمْ يلجأ الشاعر إلى الغزل كما فعل غيره، إنما دخل في جوهر الغرض مباشرة، فقال:

أنـوارُ هـادي الـورى فـي كعبـةِ الحـرمِ ::: فاضـتْ على ذِكـرِ جيرانٍ بـذي سَلَمِ

أيضاً، قسَّم - الشَّاعر - قصيدته إلى مجموعة من المقاطع؛ كل مقطع فيها أشبه بلوحة فنية بديعة مستقلة، تتغنّى بجانب من جوانب الكمال والجمال المحمدي؛ وكلها مترابطة في وحدة الموضوع والغرض الشريف.

وقد وجّه - الشَّاعر - الخطاب في كل مقطع إلى الممدوح وهو (الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم) مادحاً صفاته تارة، أوْ مُذكّراً بجليل أفعاله ومواقفه تارة أخرى، أوْ منادياً له بمختلف ألقابه وأسمائه صلى الله عليه وسلم، كقوله مثلاً: (يا أيها المصطفى، ويا نبيّ الهُدى، ويا هادي الفكر، ويا أزهد الناس، ويا أجمل الخلق، يا عبقريّ الورى الأُميّ، ويا فخر أمتنا، ويا سيد المصلحِين العُرب والعجم، ويا نفحةً من جِنان الخُلد، وغير ذلك).

وامتازت - القصيدة - برقةٍ وعذوبةٍ لا مثيل لها، فلمْ يلجأ الشاعر إلى غريب الألفاظ، بلْ جاءت تراكيبه عصرية سهلة، لا تُحوج القارئ أوْ المستمع إلى السؤال عنها، كما جاء المبنى متسقاً مع المعنى، مما أضفى على القصيدة موسيقى عذبة جميلة؛ خاصة أن (ميخائيل ويردي) من علماء الموسيقى وأربابها، وقد ظهر أثر ذلك في مخاطبته للرسول صلى الله عليه وسلم، في قوله:

كأنمـــا النـــاسُ آلاتٌ مبعثـــرةٌ ::: أخرجـتَ منهـا جميـلَ اللحـنِ والـنُّظُمِ

ولولا بيت واحد ألمح فيه - الشاعر - إلى عقيدته؛ لما عرفنا أنها من إبداع شاعر نصراني! وهو البيت الذي يقول فيه:

يـا أيهـا المسـلمون الفخـرُ فخـركمُ ::: ونحـنُ إخـوانكم فـي النُّطْـقِ والعَلَـمِ

ولمَّا كان الإبداع عاكساً لطبيعة صاحبه ونفسيته؛ فإنَّ هذه القصيدة تكشف عن موهبة شاعرية خلاَّقة، ومهارة فنية بارعة، وروح متشبعة بالإيمان، وعقلية منفتحة واعية.

لكن! لا ندري ما الباعث، أوْ ما هو السبب، أوْ ما هو الموقف الذي ساق

(ميخائيل ويردي) إلى كتابة هذه القصيدة العجيبة؟! إذْ يبدو أنها استغرقت معه زمناً طويلاً، حتى خرجت على هذا النحو الفائق البديع! لذا؛ فإنَّنِي حرصتُ على وضعها ضمن مختاراتي في كتاب (بستان المدائح النبوية)!

*** * ***

قصيدة (نَهْج البُرْدَة)

للشَّاعِر/ ميخائيل ويردي

أنـوارُ هـادي الـورى فـي كعبـةِ الحَـرمِ ::: فاضـتْ على ذِكْـرِ جيرانٍ بـذي سَلَمِ
وأرسـلتْ نَغَـمَ التوحيـدِ عـن مَلَـكٍ ::: كــالروحِ مُنطلــقٍ كــالزهرِ مُبتســمِ
فمـزجُ روحـكَ بـالروحِ التـي ازدهـرت ::: يُغنيـكَ عـن مـزجِ دمـعِ سـاجمٍ بـدمِ
وشــمُّكَ العِطْــرَ فوّاحــاً بروضــتها ::: ألــذُّ مــن عِشـقِ ريـمِ القـاعِ والأَكَـمِ
ومــنْ يهِــمْ بعظــيمٍ يتّحِــدْ معــهُ ::: بــالرأيِ والفكـرِ قبـلَ الوسْـمِ والأرَمِ
والحُبُّ صنوانِ: حُبُّ الروحِ خيرهما ::: فــلا تكــن للهــوى الفــاني بملتــزِمِ
يا ليتَ أحلامَ عمري لـمْ تضع بـددا ::: بحُـبِ قصـرٍ مـن الأوهـام منهـدِمِ
وليتنـــي لـــمْ أهِـــم إلا بمـــن عُرِفـــوا ::: برقّــةِ القلــبِ لا بــالظُّلْمِ والعقــمِ
فكــمْ حبيــبٍ إذا خالفــتَ فكرتــهُ ::: جازاكَ بالصَّدِّ قبلَ البحثِ في التُّهَمِ
ومَــنْ يُســاقِ حبيبــاً صــدّ خمرتــه ::: وســحرَ ألحانــهِ ينــدم ويــنفطِمِ
فاربــأْ بنفســكَ أن تنهــار مــن ألــمٍ ::: واربــأْ بحُسْـنكَ أن يربـدّ مـن سـأَمِ
واجعــلْ هــواكَ رســولَ اللهِ تلــقَ بــهِ ::: يــوم الحســابِ شــفيعاً فـائقَ الكَـرَمِ
هذا رسولُ الهُدَى فارشفْ على ظمأٍ ::: من وِرْدِهِ العذْبِ عطفاً شاقَ كلَّ ظمي
كأنّمــا قلبــهُ ينبـــوعُ مرحمــةٍ ::: مُستبشِـــرٌ جـــذلانُ بالنَسَـــمِ
يــا أيُّهــا المصـطفى الميمـونُ طالعـهُ ::: قــد أطلــعَ اللهُ منــك النـورَ للظُلَـمِ
وحّــدْتَ ربّــكَ لــمْ تُشـرِك بـهِ أحـداً ::: ولســتَ تسـجدُ بــالإغراءِ للصـنمِ
وكيــف تُشــركُ بــالرحمنِ آلهــةً ::: لا يســـتطيعون ردّ الـــروحِ للـــرممِ
عاديتَ أهلكَ في تحطيمِ بدعتهم ::: مــن ينصــر اللهَ بالأصــنام يصــطدِمِ
كــأنَّ ربــكَ لــمْ يخلــق لدولتــهِ ::: ســواكَ مــن مُرْسَـلٍ بـالحق معتصِـمِ
أدَّى الرسـالةَ حتـى ضـجّ مـن سَـأَمٍ ::: أجنـادُ إبلـيسَ واشـتدّ الأسـى بِهِـمِ
وأفلســتْ بعــد إقبــالٍ جهــنّمُهُمْ ::: ولـم تجـد حطبـاً فـي الأشـهرِ الحُـرُمِ
كــأنَّ (أحمــدَ) بالأصــفادِ كــبّلهم ::: فارتـدَّ جيشــهمُ المقهــور بالسَّــدَمِ

* * *

شَــرْعٌ علــى أقْــوَمِ الأركــانِ أسّسـهُ ::: للعـــالمينَ نبـــيٌّ طـــاهرُ الشِّـــيَمِ
غـذَّى عقـولَ الـورى حتـى أتـاح لهـم ::: عـيشَ النعـيمِ ونقّـاهم مـن الأَثَـمِ
وعلَّــم العُــرْبَ حتــى ســاد نسْــلُهُمُ ::: هـامَ الممالـكِ وارتاحـتْ لعـدلهِمِ

كأنمـا الشـرعُ جـزءٌ مـن نفوسِـهِمِ ::: فـإنْ هُـمُ وعـدوا استغنوا عـن القسمِ
قـومٌ إذا استُخْصِـموا كـانوا فراعنـةً ::: وإنْ هُـمُ قسَّـوا أرضـوكَ بالقِسْـمِ
وخلّـدوا مُلْكَهـم ريّـان مؤتلِقـاً ::: وكـلُّ مـا شـادتْ الأطمـاعُ لـم يـدُمِ
إنَّ الممالـكَ إنْ شِـيدتْ على جشَـعٍ ::: تفْـرِس ولا خيـر فـي الحيتـانِ للـبَلَمِ
وقـد يَمَـلُّ الفتـى بالشـيبِ مـن أَرَبٍ ::: ولا يمـلُّ عبيـدُ المـالِ مـن بَشَـمِ
أتُّـونُ نـارٍ زفـورٍ جِـدُّ محتـدمٍ ::: والمـالُ يهـوي بخلْـقٍ جِدَّ مُـزْدحِمِ
لـوْ أدركَ المـرءُ أنَّ المـال تاركـهُ ::: لمـلَّ صُـحبةَ خـوَّانِ الـوِدادِ عَمِـي
ولوْ درى العاشقُ الموتورُ كيف سلا ::: أحبابـهُ لـم يبِـتْ يومـاً بقـربِهِمِ
كفـاكَ همّـاً فـأهواء الـدُّنا غُصَـصٌ ::: تُودي بصفوكَ مثلَ السُّمِّ في الدَّسَمِ
والزهـدُ راحـةُ فكـرٍ مـن متاعبـهِ ::: فـإنْ دعانـا وأهملنـاهُ ينـتقِمِ
هِمْنـا بفـانٍ فأغرانـا وأذهلنـا ::: وأيُّ قلـبٍ بحـب الأرض لـمْ يهِـمِ

* * *

يـا أزهدَ النـاسِ في الـدنيا وفي يـدهِ ::: خـزائنُ المُلْـكِ والأنصـارُ كالخَـدَمِ
عجبتُ كيف تعاني الجوعَ مُرتضياً ::: حـظَّ الفقيـرِ ولـمْ تلتـذَّ بـالتَّخَمِ
ولـمْ تبـالِ بتيجـانٍ مُرصّـعةٍ ::: ولـمْ تكـنْ للأُلـى ضـلّوا بِمُرْتَسَـمِ
تقـولُ ربّـي أجِـرْهُم مـن عمـايتهم ::: وتصرفُ النفسَ نحو الموردِ الشَّبِمِ
فاستضحكَ القومُ هُزْءاً واستبدّ بهم ::: وهْـمٌ فصيّرهم لحمـاً علـى وضَـمِ
كـأنّ أفكـارهم من طول مـا شقيتْ ::: ألقـتْ بـأرواحهم فـي وهـدة الحُطَـمِ
والنـارُ حُرقـةُ نفسٍ مـن نـدامتها ::: يا بؤس من لم يحِدْ عن شرٍّ مُغْتَنَمِ
فاسـلمْ بنفسـكَ إن الـروح يُعْوِزُهـا ::: رضـا الـذي علّـم الإنسـانَ بـالقلمِ
فـلا طعـامٌ مـن البأسـاءِ يُنقِـذنا ::: ولا لِبـاسٌ يقينـا شِـرَّةَ الضَّـرَمِ
وهـلْ تفيـدكَ أبـراجٌ مُشـيّدة ::: والموتُ في القصر مثل الموت في
والمـرءُ يفنـى إذا لـمْ يُبـقِ مـآثرهُ ::: الخِيَمِ تحيا إذا باتتْ الأجسادُ في
والعمـرُ إنْ طـال يـومٌ لا رجـوعَ لـهُ ::: الرَّجَمِ فهيئْ الزادَ قبل الشيبِ والهَرَمِ
أسـلمتُ للهِ أمـري فهـو يكلـؤني ::: كالزهرِ في الحقلِ والأطيار في العلَمِ
ألسـتَ يـا أيهـا الإنسـانُ أفضَـلَها ::: وبـارئُ الكـونِ قـد حـلاّكَ بـالحِكَمِ؟
وكيـف تسـمو بـروحٍ بـالثرى علِقـتْ ::: وكيف تعلو على الآسادِ في الأجَمِ؟
فـإنْ يغِـبْ عنـكَ أنَّ العيشَ مرحمـةٌ ::: فكيـف تـدركُ أن الفـوزَ بـالألَمِ؟

* * *

أقولُ للمصطفى أعْظِمْ بما ابتدعتْ ::: آياتُ بِرّكَ من خيرٍ ومن نِعَمِ

لوْ يتْبَعُ الخَلْقُ ما خلّدتَ من سُنَنٍ ::: لمْ يفتِك الجهل والإعوازُ بالأُمَمِ

ولمْ يرَ الناسُ أحكاماً وفلسفةً ::: في الاجتماعِ ستلقيهم إلى العدَمِ

مذاهبٌ أحدثتْ في الأرض بلبلةً ::: وأورثتنا بلايا الحربِ والإزَمِ

أين الزكاةُ وأين العُشْرُ يحملهُ ::: أهلُ الغِنى للأُلى ماتوا من السقَمِ؟

هلْ كنتَ تُبْصِرُ ما أودى بعالمنا ::: من قبلِ أنْ فاض بالويلاتِ والنِّقَمِ؟

أمْ هل تنبأتَ عما تمَّ في زمنٍ ::: تسودهُ فكرةُ الإلحادِ والنّهَمِ؟

نبوءةٌ حارب الجبّارُ مُنْكِرها ::: وروّعَ الناسَ بالتعذيبِ والحُمَمِ

* * *

فيا نبيَّ الهُدى حُيِّيتَ من عَلَمٍ ::: بالطُهر مُتَّسِمٍ بالعدلِ مُدَّعِمِ

أحببتُ دينكَ لما قلتَ أكرمكم ::: أتقاكمُ وتركتَ الحُكمَ للحَكَمِ

وقلتَ إنِّي هُدىً للعالمين ولم ::: تلجأ إلى العُنفِ بل أقنعتَ بالكلِمِ

في دينكَ السمح لا جنسٌ ولا وطنٌ ::: فكل فردٍ أخٌ يشدو على عَلَمِ

اللهُ أكبرُ والأكوانُ فانيةٌ ::: ومنْ يلُذْ بجلال اللهِ لا يُضَمِ

سبحانَ من بيديْهِ المُلْكُ أجمعهُ ::: ويُرجَعون إليه يوم بعثِهِمِ

* * *

يا عبقريَّ الورى الأُميَّ هل سمعتْ ::: من قبلكَ العُرْبُ وحياً جِدَّ مُنْسَجِمِ

آياتُكَ الغُرُّ إعجازٌ تَنَزَّه عن ::: نِدٍّ وَلَيس دَعيُّ الحُبِّ كالسَّدِمِ

كأنما الناسُ آلاتٌ مبعثرةٌ ::: أخرجتَ منها جميلَ اللحنِ والنُّظُمِ

مُحَمَّدٌ رَدَّ مَن ضَلّوا وَعَلَّمَهُم ::: حَقَّ النِّساءِ اللَّواتي كُنَّ كالرُّمُمِ

يا فَخرَ أُمَّتِنا في الأَرضِ قاطِبَةً ::: وَسَيِّدَ المُصلِحينَ العُربِ والعَجَمِ

عَزَّزتَ كُلَّ فَتاةٍ حِينَ صِحتَ بِنا ::: ما أَولَد العِزُّ غَيرَ السّادَةِ الحُشُمِ

فَأَنتَ أَوَّلُ مَن نادى بِمأْثَرَةٍ ::: يَظُنُّها الغَربُ من آلاءِ بَعضِهِمِ

خاطَبتَ كُلَّ ذكيٍّ حَسبَ قُدرَتِهِ ::: وَلَمْ تكُن بِغبيٍّ القَومِ بالبَرِمِ

وَكُنتَ أَرأفَ بالمسكينِ مِن دُوَلٍ ::: رَأت بِأَمثالِهِ سِرْبَاً مِن الغَنَمِ

إنْ كان ينجعُ طِبُّ الناسِ في جسدٍ ::: فأنتَ تفعلُ بالأرواحِ كالحُسُمِ
ترعى اليتيمَ وترعى كلَّ أرملةٍ ::: رعيَ الأبِ المُشْفِقِ الباكي من اليَتَمِ
فارعَ النفوسَ التي ذلّتْ ويتّمها ::: فقدُ الكريمين حُبِّ الخيرِ والشَمَمِ
وهبْ لنا مبدأً حيّاً وتضحيةً ::: بها تفرّدتَ بين الناسِ من قِدَمِ
إنَّ القلوبَ إذا ألّفتها ائتلفتْ ::: والودُّ حبلٌ فإنْ تصرمهُ ينصَرِمِ
ماذا يطهّرُ قومي من تنابذهم ::: والصدُّ يعْلَقُ بالأرواحِ كالرَّشَمِ؟
أجفوةٌ ورعاةٌ غرّهمْ طمعٌ ::: كأنهم عن نداء الحقِّ في صَمَمِ
أسمعتنا فنسينا واستقلّ بنا ::: هوىً فأمسى عزيزُ القومِ كالحَطَمِ
فانفخ بنا نخوةً تجمع أواصرنا ::: وابعثْ بنا هِمّةً يا باعثَ الهِمَمِ
أبناءُ بابلَ أفنتهمْ مآثمها ::: وآلُ فرعونَ ما شادوا سوى الهَرَمِ
وتدْمُرٌ ومغانيها غدتْ خِرَباً ::: والذّكرُ بالخيرِ غير الذّكر بالإرمِ
يا ليتَ من شيدوها للفناء رأوا ::: عُقْبى المباني فأغنتهم عن النّدَمِ
زالوا وزالتْ مع الآثارِ عزتهم ::: فإنْ تجادل سلْ التاريخَ واحتكِمِ!
والمُصطَفى خالدٌ في الناسِ ما بَزَغَت ::: أُمُّ النُّجومِ ومَمدوحٌ بِكلِّ فَمِ

* * *

يا أيها العَرَبُ المأثورُ مجدهمُ ::: ما فازَ بالمجدِ شعبٌ شبهُ مختصمِ
أيصبحُ الخيرُ شراً من تخاذلنا ::: ونغتدي نُهْبةَ الغِربانِ والرّخَمِ؟
إنَّ الكرامةَ تأبى أنْ نذلّ ولمْ ::: نهضم حقوقَ الورى كالهائج الضّرِمِ
فاستجمِعوا أمركم فاللهُ وحّدكم ::: والمكرُ فرقكم في حومةِ الجُسُمِ
وشرعُ أحمدَ بالقرآنِ هذّبكم ::: وجَدَّ في أمركم بالحبّ والسَلَمِ

* * *

يا أيها المسلمون الفخرُ فخركمُ ::: ونحنُ إخوانكم في النُّطْقِ والعَلَمِ
فأيدوا بالفِعالِ الغُرِّ دينَكُمُ ::: فقيمة الحب عندي أعظم القِيَمِ
ما الدينُ إلاَّ هوىً في نفس عاشقهِ ::: وَمَنْ يبُحْ بالهوى يوم النَّوى يُلَمِ
سيّان يا قومُ من يقضي بلا أملٍ ::: وَمَنْ ينالُ المُنَى في عالمِ العَدَمِ
صوفيّةٌ أدركتها النفسُ فانصرفتْ ::: عن الدنايا ومنْ يهْوَ العُلا يصُمِ

فاستهدِ بالروحِ في الأفلاكِ واهوَ كما ::: تهوى الملائكُ وجهَ اللهِ واستقِمِ
وقُلْ لمنْ أدمتْ الأهواءُ مهجتهُ ::: أمَا اكتفيتَ من الدنيا بحبّهِمِ
رَمَتْ فؤادي بسهمِ الحُسْنِ فاتنةٌ ::: فاعجبْ لصَبٍّ جريحٍ ثابتِ القَدَمِ
نَدَتْ أناشيدهُ نيرانَ لوعتهِ ::: ففرّجَتْ عن عليلٍ بالجمالِ رُمِي
إنْ لمْ يخلّد فؤادي الحبُّ فالتمِسِ ::: يا نفسُ كهفاً ببطنِ الأرضِ واعتصِمِ
علَّ المنيةَ تنساني كما نسيتْ ::: عرائسُ البحرِ صيد النسرِ في القِمَمِ

* * *

يا نفحةً من جِنان الخُلدِ ساريةً ::: كالوردِ يُلْثمُ في الأسحارِ من أَمَمِ
إني مُحبٌّ ومحبوبٌ ولوْ زعموا ::: أن المحبةَ بالأنسابِ والرَّحِمِ
فالناسُ من آدمٍ بالمُصطفى اجتمعوا ::: وشِرعةُ الحبِّ أُمُّ الناسِ فائتمِ
يا أجملَ الخَلْقِ سِيمَاءً وأظرفهم ::: طبعاً وأوفاهمُ بالعهدِ والذِّممِ
عشقتُ منكَ صفاتٍ جلَّ مُبدِعها ::: كالغيدِ تفتنُ لُبَّ الشاعرِ الفهِمِ
يرنو فيمنحهُ وحياً يخلّدهُ ::: ورُبَّ حُبٍّ مُثيرٍ جاء بالعِظَمِ
ورُبَّ نجمٍ مُنيرٍ يستضيءُ بِكُمُ ::: فأنتمُ الشمسُ لمْ تُدرَكْ ولمْ تُرَمِ
وحُسْنُ شِعري بكمْ من شمسكم قبسٌ ::: والنبعُ ما سالَ لولا صيّبُ الدِّيَمِ
فإنْ أجدتُ بهذا الطَّلِّ مدحكمُ ::: فكلُّ معنىً بكم كالهاطِل العَرِمِ
حيّاكَ ربّي بآياتٍ مفصّلةٍ ::: والناسُ أعجزُ عن إدراكِ ربّهمِ
لكنها صورةٌ بالشّعْرِ أرسمها ::: لأستجيرَ بها إنْ بِتُّ كالحُلُمِ

* * *

يا هاديَ الفكرِ أهداهُ الإلهُ إلى ::: عبادهِ مِنّةً من فضلهِ العَمِمِ
إنْ يمدحوكَ بأبياتٍ مُنمّقةٍ ::: فأنتَ تفْرُقُ قلبي عن قلوبِهِمِ
تبارك اللهُ لوْ شاءت مراحمهُ ::: لشعَّ نورُكَ بين الناسِ كلّهمِ!
إنْ لمْ تكنْ بوكيلٍ فاشفعنّ لنا ::: بحقِّ ترديدنا التوحيدَ في الحَرَمِ!

* * *

صلَّى الإلهُ على محْياكَ في مُهَجٍ ::: تحيا بها كحياة النورِ في السُّدُمِ
صلَّى الإلهُ على مثواكَ ما صدحتْ ::: ورقاءُ أوْ هينمتْ عطريّةُ النَّسَمِ

صــلَّى الإلــهُ علــى ذِكْــراكَ مُمتــدِحاً ::: حتــى تــؤمَّ صــلاةَ البعــثِ بــالأُممِ!

أخيراً، وليس آخراً؛ سلام.. سلام على الشـعراء الصادقين!

* * *

مراجع البحث

القرآن الكريم.

الكتاب المقدَّس.

دواوين الشعراء النصارى.

ألفونس لا مارتين: النبيّ محمد.

أنا ماري شمل: محمد رسول الله.

توليستوي: حِكَم النبيّ مُحمَّد.

توماس كارليل: الأبطال.

تيودور نولدكه: تاريخ القرآن.

جورج برنارد شو: محمد أعظم الرسل.

جورج بوش: محمد مؤسس الدين الإسلامي.

جولد زيهر: العقيدة والشريعة في الإسلام.

زيجريد هونكة: العقيدة الإسلامية والمعرفة.

فيليب حتة: الإسلام منهج حياة.

كارن أرمسترونج: محمد نبيّ لزماننا.

محمد عبد الشافي القوصي: بستان المدائح النبوية.

محمد عبد الشافي القُوصي: شعراء الأزهر.

محمد عبد الشافي القوصي: محمد مُشتهَى الأمم.

مارجليوث: مُحمّد ونـهضة الإسلام.

مايكل هارت: الخالدون مائة، أعظمهم محمـد.

نبيل لوقا بباوي: عبقرية محمـد.

نصري سلهب: الإسلام كما عرفته دين الرحمة والسلام.

نصري سلهب: في خطى محمـد.

نظمي لوقا: محمد الرسالة والرسول.

نظمي لوقا: محمد في حياته الخاصة.

هامفري بريدو: حياة محمـد.

وول ديورانت: أعظم عظماء التاريخ.

* * *

الفهـرس

* * *